

قواعد عند المفسرين 14

قَوَاعِدُ التَّوَكِيدِ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ

إعداد

عمر بن عبد المجيد البيانوني



قواعد عند المفسرين ١٤

قواعد التوكيد عند المفسرين

إعداد

عمر بن عبد المجيد البيانوني

حَقُّ الطبع والنشر مباح لكل من أراد بشرط المحافظة على الأصل

جزى الله خيراً كل من أعان على نشر هذا الكتاب وتوزيعه

للتواصل مع الباحث

البريد الإلكتروني:

xOMAR88x@gmail.com

بالفيس بوك:

facebook.com/OMARBIANONY

مقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيّد الأُمم، وعلى آله وأصحابه الذين أناروا دياجي الظُّلم، أما بعد.

فهذا هو الجزء الرابع عشر من سلسلة: قواعد عند المفسرين، وكان الجزء الأول: قواعد التقديم والتأخير عند المفسرين، والجزء الثاني: قواعد النفي والإثبات عند المفسرين، والجزء الثالث: قواعد الصفة والموصوف عند المفسرين، والجزء الرابع: قواعد الإضافة عند المفسرين، والجزء الخامس: قواعد العطف عند المفسرين، والجزء السادس: قواعد الإضمار والإظهار عند المفسرين، والجزء السابع: قواعد الاستفهام عند المفسرين. والجزء الثامن: قواعد الشرط عند المفسرين، والجزء التاسع: قواعد المعرفة والنكرة عند المفسرين. والجزء العاشر: قواعد الضمير عند المفسرين، والجزء الحادي عشر: قواعد الموصول عند المفسرين، والجزء الثاني عشر: قواعد الظرف عند المفسرين، والجزء الثالث عشر: قواعد الحصر والقصر والاختصاص عند المفسرين، وهذا هو الجزء الرابع عشر: قواعد التوكيد عند المفسرين.

وقد بحثت في ثنايا كتب التفسير لاستخراج القواعد التي تتعلق بالتوكيد عند المفسرين.

ولقد وصلت القواعد التي استخرجتها من كلام المفسرين إلى سبع وثلاثين قاعدة.

خطة البحث:

يشتمل البحث على فصلين:

الفصل الأول: التوكيد في اللغة العربية وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التوكيد في اللغة

المبحث الثاني: معنى التوكيد في الاصطلاح

المبحث الثالث: أنواع التوكيد

الفصل الثاني: قواعدُ التوكيد عند المفسِّرين، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قواعد عامة في التوكيد

المبحث الثاني: قواعد في أدوات التوكيد

المبحث الثالث: قواعد في توكيد الجملة

.....

الفصل الثاني: قواعد التوكيد عند المفسِّرين

المبحث الأول: قواعد عامة في التوكيد

١. قاعدة: (أصلُ التَّأْكِيدِ رَفْعُ تَوْهُمِ الْمَجَازِ)

٢. قاعدة: (إِذَا دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَ التَّوْكِيدِ وَالتَّأْسِيسِ رَجَحَ حَمْلُهُ عَلَى

التَّأْسِيسِ)

٣. قاعدة: (الْمَصَادِرُ الْمُؤَكَّدَةُ بِمَنْزِلَةِ ذِكْرِ الْفِعْلِ ثَانِيًا)

٤. قاعدة: (الْعَرَبُ لَا تَكَاذُ تُدْخِلُ نون التَّوْكِيدِ فِي الْجَزَاءِ حَتَّى يَصِلُوهَا

ب(ما))

٥. قاعدة: (قَدْ تَأْتِي الصِّفَةُ لِلتَّأْكِيدِ)

٦. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ التَّشْنِيعُ مَعْنَى التَّأْكِيدِ)

٧. قاعدة: (الاستثناءُ تأويلُهُ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ توكيدُ الْعَدَدِ وَتَحْصِيلُهُ وَكَمَالُهُ)

٨. قاعدة: (إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى الْجَارِحَةِ الَّتِي يَعْمَلُ بِهَا أَبْلَغُ فِي التَّوْكِيدِ)

٩. قاعدة: (الشَّهَادَةُ تَجْرِي مَجْرَى الْحَلْفِ فِيمَا يُرَادُ بِهِ مِنَ التَّوْكِيدِ)

١٠. قاعدة: (أَسْلُوبُ الْإِبْدَالِ لَهُ مِنَ الْفَائِدَةِ مِثْلُ مَا لِلتَّوْكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ)

١١. قاعدة: (قَدْ تَأْتِي الْمُفَاعَلَةُ عَلَى غَيْرِ بَابِهَا لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ)

١٢. قاعدة: (الأخبارُ ثلاثةُ أقسامٍ: ابتدائيٌّ وطلبيٌّ وإنكاريٌّ، فالأولُ: يُقال لمن لم يتردّد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر مثل: زيد عارفٌ، والثاني: لمن هو متردّد في ذلك طالبٌ له منكّرٌ له بعض إنكارٍ، فيقال له: إنّ زيدا عارفٌ، والثالث: لمن يبالغ في إنكارٍ فيقال له: إنّ زيدا لعارفٌ)

١٣. قاعدة: (الأكثرُ في (أجمع) وأخواته المستعملة في التأكيد إنما يؤتى بها بعدَ (كُلِّ)، وفي غير الأكثرِ قد تَجيءُ بدونِ (كُلِّ))

١٤. قاعدة: (قد يَكُونُ التَّأكيدُ بِطريقِ تأكيدِ الشَّيءِ بما يُشبهُ ضِدَّهُ، ويُطْلَقُ عليه: (تأكيدُ المدحِ بما يُشبهُ الذَّمَّ))

١٥. قاعدة: (أسلوبُ الجارِّ والمجرورِ أبلغُ لأنَّه يُفيدُ المعنى بِطريقةٍ تُشبهُ طريقةَ الاستدلالِ، فهو من قبيل الكناية التي هي إثباتُ الشَّيءِ بإثباتِ ملزومه، وهي أبلغُ مِنَ التَّصريحِ)

المبحث الثاني: قواعد في أدوات التوكيد

١٦. قاعدة: ((إنَّ) معناها التوكيد، وهي آلة من آلات القسم، وإنما نصبته ورفعت لأنها تُشَبَّهُ بالفعلِ، وشبَّهها به أمَّا لا تلي الأفعال ولا تعملُ فيها)

١٧. قاعدة: ((أَنَّ) المفتوحة الهمزة المشددة النون إذا وقعت بعد ما فيه معنى القولِ دونَ حُرُوفِهِ تَكُونُ مفيدةً لِلتَّفْسيرِ مَعَ التَّأكيدِ كما كانت تُفيدُ معنى المَصْدَرِيَّةِ مَعَ التَّأكيدِ)

١٨. قاعدة: (حرفُ التَّوكيدِ يُغني غناءً فاءَ التَّفْريعِ ويُفيدُ التَّعْلِيلَ والرَّبطَ)

١٩. قاعدة: ((مِنْ) في الأصلِ ابتدائيةٌ ثُمَّ عُوْمِلَتْ مُعامَلةَ حرفِ التَّأكيدِ)

٢٠. قاعدة: (قد تَدْخُلُ (مِنْ) لِتَفِيدَ التَّوكيدَ)

٢١. قاعدة: (لامُ الجَرِّ لا تقعُ في الأفعالِ، وتقعُ لامُ التَّوكيدِ في الأفعالِ)

٢٢. قاعدة: ((مَا) في التَّوكيدِ بِمَنْزِلَةِ حَقٍّ، إلا أنه لا إعرابَ لها، والخافضُ

والتَّاصِبُ يتخطَّأُها إلى ما بَعْدَها، ومثلُها في التَّوكيدِ ((لا))

٢٣. قاعدة: (إِذَا دَخَلَتِ اللَّامُ عَلَى (إِنْ) الْمَخْفَفَةِ أَفَادَتِ التَّوْكِيدَ)

٢٤. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ الْبَاءُ مَعْنَى التَّوْكِيدِ)

٢٥. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ اللَّامُ مَعْنَى التَّوْكِيدِ)

٢٦. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ (قَدْ) مَعْنَى التَّوْكِيدِ)

٢٧. قاعدة: (مِنْ مُؤَكِّدَاتِ الْفِعْلِ (السين) التي للتنفيس)

٢٨. قاعدة: (مِنْ مُؤَكِّدَاتِ الْفِعْلِ النُّونُ الشَّدِيدَةُ وَالْخَفِيفَةُ)

٢٩. قاعدة: (مِنْ مُؤَكِّدَاتِ الْفِعْلِ (لَنْ) لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ)

٣٠. قاعدة: (لَامُ الْجُحُودِ تُفِيدُ التَّوْكِيدَ)

٣١. قاعدة: (لَامُ التَّوْكِيدِ وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ تَقَعُ عَلَى الْاسْمِ الَّذِي تَقَعُ عَلَيْهِ

(إِنَّ) إِذَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (إِنَّ) حَشْوً، وَتَقَعُ أَيْضاً فِي خَبَرِ (إِنَّ) وَتَصْرِفُ (إِنَّ) إِلَى

الابتداء)

٣٢. قاعدة: ((كُلُّ) يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ الْعُمُومِ فَفَائِدَةُ التَّوْكِيدِ بِـ (كُلِّ) وَأَخَوَاتِهَا

رَفَعُ تَوْهُمٍ وَضَعُ الْأَخْصَرِ مَوْضِعَ الْأَعْمِ)

٣٣. قاعدة: (كَافَّةً) اسْمٌ يُفِيدُ الْإِحَاطَةَ بِأَجْزَاءِ مَا وُصِفَ بِهِ، وَيُفِيدُ مَفَادَ

الْفَاطِ التَّوْكِيدِ الدَّالَّةِ عَلَى الشُّمُولِ وَالْإِحَاطَةِ)

المبحث الثالث: قواعد في توكيد الجملة

٣٤. قاعدة: (الْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ أَكْثَرُ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ)

٣٥. قاعدة: (إِذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ جَارِيَةً مَجْرَى التَّوْكِيدِ لَا يُؤْتَى بِحَرْفِ الْعَطْفِ)

٣٦. قاعدة: (الْجُمْلَةُ الْقَسَمِيَّةُ لَا تُسَاقُ إِلَّا تَأْكِيداً لِلْجُمْلَةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهَا

الَّتِي هِيَ جَوَابُهَا)

٣٧. قاعدة: (إِذَا أَقْسَمَ عَلَى جُمْلَةٍ مَصْدَرَةٍ بِمَاضٍ مُثَبَّتٍ مُتَصَرِّفٍ وَكَانَ قَرِيباً

مِنْ زَمَانِ الْحَالِ أَثْبَتَ مَعَ اللَّامِ بَقْدَ الدَّالَّةِ عَلَى التَّقْرِيبِ مِنْ زَمَنِ الْحَالِ وَلَمْ تَأْتِ

بَقَدْ بَلٍ بِاللَّامِ وَحَدَّهَا إِنْ لَمْ يَرِدِ التَّقْرِيبُ)

الفصل الأول: التوكيد في اللغة العربية

المبحث الأول: معنى التوكيد في اللغة

(الْوَاوُ وَالْكَافُ وَالْدَّالُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ وَإِحْكَامٍ. وَأَوْكِدَ عَقْدَكَ، أَي شُدَّهُ. وَالْوَكَاذُ: حَبْلٌ تُشَدُّ بِهِ الْبَقَرَةُ عِنْدَ الْحَلَبِ. وَيَقُولُونَ: وَكَدَ وَكَدَهُ، إِذَا أَمَّهُ وَعُنِيَ بِهِ) ^(١).

(وكد: وَكَّدْتُ الْعَقْدَ وَالْيَمِينَ، أَي: أَوْثَقْتَهُ، وَاهْمَزَ فِي الْعَقْدِ أَجُودَ. وَالسِّيُورُ الَّتِي يَشُدُّ بِهَا الْقَرْبُوسَ تَسْمَى الْمَوَاكِيدَ، وَلَا تَسْمَى التَّوَاكِيدَ) ^(٢).

(وَكَّدْتُ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ، وَأَكَّدْتُهُ: أَحْكَمْتُهُ. قَالَ تَعَالَى: (وَلَا تَنْفُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) [النحل: ٩١]، وَالسَّيْرُ الَّذِي يَشُدُّ بِهِ الْقَرْبُوسَ يَسْمَى التَّأْكِيدَ، وَيُقَالُ: تَوَكَّيْتُ، وَالْوَكَاذُ: حَبْلٌ يَشُدُّ بِهِ الْبَقَرُ عِنْدَ الْحَلَبِ، قَالَ الْخَلِيلُ: أَكَّدْتُ فِي عَقْدِ الْإِيمَانِ أَجُودَ، وَوَكَّدْتُ فِي الْقَوْلِ أَجُودَ، تَقُولُ إِذَا عَقَدْتَ: أَكَّدْتُ، وَإِذَا حَلَفْتَ وَكَّدْتُ وَوَكَّدَ وَكَدَهُ: إِذَا قَصَدَ قَصْدَهُ وَتَخَلَّقَ بِخَلْقِهِ) ^(٣).

و(التوكيد: التثبيت ويقال: توكيد، وتأكيد، وهما لغتان.

وزعم الزجاج أن الهمزة بدل من الواو، وليس بجيد. لأن التصريف جاء في التركيبين فدل على أنهما أصلان) ^(٤).

(قوله تعالى: (وَلَا تَنْفُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) [النحل: ٩١] أي تقويتها وإحكامها. يقال: وكدت القول وأكدته - بالواو والهمز - نحو: ورخ وأرخ - بمعنى أحكمته وقويته.

(١). العين للخليل ٥: ٣٩٥.

(٢). مقاييس اللغة ٦: ١٣٨.

(٣). المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: ٨٨٢.

(٤). البحر المحيط ٦: ٥٨٥.

ومنه التوكيد الاصطلاحي؛ فإنه تقوية المعنى في النفس. وقد فرق الخليل بين الواو والهمز فقال: «أكدت» في الأيمان أجود، و«كدت» في لبقول أجود. تقول إذا عقدت: أكدت وإذا حلفت: وكدت؛ نقله الراغب وفيه نظر؛ فإن القراء كلهم على الواو في الآية الكريمة، ولا يقال توكيداً. انتهى. يعني أنه اختص بهذا اللفظ بالهمز دون الواو، وفيه نظر؛ إذ ليس في النطق باللغة الأخرى حجر، وفي الحديث، وقد ذكر طالب العلم: «قد أوكدته يده، وأعمدته رجلاه». أوكدته، أعلمته. يقال: وكد فلان أمراً: قصده: وما زال هذا وكدي، أي دأبي وقصدي. وأما الوكد - بالفتح - فمصدر. ووكد فلان وكد فلان: قصد قصده وتخلق بخلقته (١).

المبحث الثاني: معنى التوكيد في الاصطلاح

(التوكيد لفظ يتبع الاسم المؤكد لرفع اللبس وإزالة الاتساع. وَإِثْمًا تُؤَكِّدُ المعارف دون النكرات، ومُظْهِرَهَا ومُضْمَرَهَا) (٢).
(والتوكيد في العربية: إتياع الاسم اسماً ويعرب بإعرابه. والمراد به نفي الشك، والتبعية) (٣).
(التأكيد: تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله) (٤).
(التأكيد: هُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ لِتَقْرِيرِ الْمَعْنَى الْحَاصِلِ قَبْلَهُ وَتَقْوِيَتِهِ) (١).

(١). عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٤: ٣٣٦.

(٢). اللمع في العربية لابن جني: ٨٤.

(٣). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميري ١١: ٧٢٧٣.

(٤). التعريفات للجرجاني: ٥٠.

(التوكيد تمكين المعنى في النفس. وهو على ضربين أحدهما إعادة الأول بعينه ويكون ذلك في الأسماء والأفعال والحروف والجمل، والثاني غير لفظ الأول ولكن في معناه.

والغرض من ذكره إزالة الاتساع وذلك أن الاسم قد ينسب إليه الخبر ويراد به غيره مجازاً كقولك جاءني زيد فإنه قد يراد جاءني غلامه أو كتابه ومنه عمر السلطان داراً أو حفر نهرأ أي أصحابه بأمره فإذا قلت جاء زيد نفسه كان هو الجائي حقيقة، وقد يذكر العام ويراد به الخاص كقوله تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) [آل عمران: ١٧٣] والمراد بعضهم، فإذا قلت: قال الناس كلهم، لم يحتمل بعضهم^(٢).

المبحث الثالث: أنواع التوكيد

قال الزركشي: (في تقسيمه وهو صناعي -يتعلق باصطلاح النحاة- ومعنوي وأقسامه كثيرة فلنذكر ما تيسر منها: القسم الأول: التوكيد الصناعي. وهو قسمان: لفظي ومعنوي، فاللفظي: تقرير معنى الأول بلفظ أو مرادفه فمن المرادف: (فَجَاجَا سُبُلًا) [الأنبياء: ٣١]، (ضَيِّقًا حَرْجًا) [الأنعام: ١٢٥]، في قراءة كسر الراء (وَعَرَايِبُ سُودٌ) [فاطر: ٢٧]، وجعل الصفار منه قوله تعالى: (فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيْهِ) [الأحقاف: ٢٦] على القول بأن كلاهما للنفي. واللفظي يكون في الاسم النكرة بالإجماع نحو: (قَوَارِيرًا. قَوَارِيرَ) [الإنسان: ١٥. ١٦]، وجعل ابن مالك وابن عصفور منه: (دَكَّا دَكَّا) [الفجر: ٢١]، و(صَفًّا صَفًّا) [الفجر: ٢٢]، وهو مردود لأنه جاء في التفسير أن معنى (دَكَّا

(١). الكليات للكفوي: ٢٦٧.

(٢). باختصار من: الباب في علل البناء والإعراب للعكبري ١: ٣٩٤.

دَكَأً دَكًّا بعد دك، وأن الدك كرر عليها حتى صار هباءً منثوراً، وأن معنى: (صَفًّا صَفًّا) أنه تنزل ملائكة كل سماء يصطفون صفاً بعد صف محدقين بالإنس والجن، وعلى هذا فليس الثاني منهما تكراراً للأول، بل المراد به التكرير نحو: جاء القوم رجلاً رجلاً، وعلمته الحساب باباً باباً.

وقد ذكر ابن جني في قوله تعالى: (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) [الواقعة: ١] (إِذَا رُجَّتِ) [الواقعة: ٤] أن (رجت) بدل من (وقعت)، وكررت (إذا) تأكيداً لشدة امتزاج المضاف بالمضاف إليه، ويكون في اسم الفعل كقوله تعالى: (هَيَّاهَاتَ هَيَّاهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) [المؤمنون: ٣٦]، وفي الجملة نحو: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) [الشرح: ٥. ٦]، ولكون الجملة الثانية للتوكيد سقطت من مصحف ابن مسعود ومن قراءته.

والأكثر فصل الجملتين بشم، كقوله: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ) [الانفطار: ١٧. ١٨]، (كَأَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) [التكاثر: ٣. ٤]، ويكون في المجزور كقوله: (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) [هود: ١٠٨]، والأكثر فيه اتصاله بالمذكور.

وزعم الكوفيون أنه لا يجوز الفصل بين التوكيد والمؤكد قال الصفار في شرح سيبويه: والسماع يرده قال تعالى: (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) [يوسف: ٣٧]، فإن (هم) الثانية تأكيد للأولى، وقوله: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) [البقرة: ٨٩]، ألا ترى أن قبله: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ) [البقرة: ٨٩]، فأكد (لما) وبينهما كلام وأصله: (يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) [البقرة: ٨٩]، فكرر للطول الذي بين (لما) وجوابها وقوله: (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) [المؤمنون: ٣٥] في أحد القولين لأنه أكد "أن" بعد ما فصل.

وقوله تعالى: (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) [الجاثية: ٣]، ريب أنهم اجتمعوا في الهلاك وإن قوم موسى اجتمعوا في النجاة.

ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف: (وَأُتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) [يوسف: ٩٣] فلم يرد بهذا أن يجتمعوا عنده وإن جاؤوا واحداً بعد واحد، وإنما أراد اجتماعهم في المعنى إليه وألا يتخلف منهم أحد، وهذا يعلم من السياق والقرينة. ومن القرينة الدالة على ذلك في قصة الملائكة لفظاً أن قوله: يتخلف منهم أحد وهذا يعلم من السياق والقرينة.

ومن القرينة الدالة على ذلك في قصة الملائكة لفظاً أن قوله: (كلهم) يفيد الشمول والإحاطة، فلا بد أن يفيد: (أجمعون) قدراً زائداً على ذلك وهو اجتماعهم في السجود هذا في اللفظ.

وأما المعنى فلأن الملائكة لم تكن ليتخلف أحد منهم عن امتثال الأمر ولا يتأخر عنده، ولا سيما وقد وقت لهم بوقت واحد لهم بحد، وهو التسوية ونفخ الروح فلما حصل ذلك سجدوا كلهم عن آخرهم في آن واحد ولم يتخلف منهم أحد.

ومنها: قصد تحقيق المخبر به كقوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ) [البقرة: ٣٠] فأكد بأن وباسم الفاعل مع أنهم ليسوا بشاكين في الخبر.

ومثله: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) [الزمر: ٣٠]، وقال حاكياً عن نوح: (إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ) [نوح: ٢٧].

ومنها: قصد إغاشة السامع بذلك الخبر كقوله: (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) [يس: ٣].

ومنها: الترغيب كقوله: (فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ٥٤]، أكده بأربع تأكيدات، وهي إن وضمير الفصل والمبالغتان مع الصفتين له ليدل على ترغيب الله العبد في التوبة، فإنه إذا علم ذلك طمع في عفوه وقوله: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [التوبة: ٤٠].

ومنها: الإعلام بأن المخبر به كله من عند المتكلم كقوله: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) [البقرة: ٣٨]، دون الاختصار على "يأتينكم هدى" قال المفسرون: فيه إشارة إلى أن الخير كله منه.

وعليه قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ) [يونس: ٥٧]، (قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ) [النساء: ١٧٤]، ومنها: التعريض بأمر آخر كقوله تعالى: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) [القصص: ١٦]، وقول موسى: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [القصص: ٢٤]، وقوله تعالى: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) [آل عمران: ٣٦] تعريضاً سؤال قبولها فإنها كانت تطلب للنذر ذكراً^(١).

(١) . باختصار من: البرهان في علوم القرآن ٢: ٣٨٥.

الفصل الثاني: قواعد التوكيد عند المفسرين

المبحث الأول: قواعد عامة في التوكيد

١. قاعدة: (أصلُ التأكيد رفعُ توهّم المجاز)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء، منهم السمين الحلبي وابن عاشور، فعند قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) [البقرة: ٧٩] قال السمين الحلبي: (متعلّقٌ بيكُتُبُونَ، ويَعُدُّ جَعْلُهُ حالاً من الكتاب، والكتابُ هنا بمعنى المكتوب، فنصبُهُ على المفعول به، ويَعُدُّ جَعْلُهُ مصدراً على بابه، وهذا من بابِ التأكيد فإنَّ الكُتْبَةَ لا تكون بغير اليد، ونحوه: (وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) [الأنعام: ٣٨]، (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ) [آل عمران: ١٦٧]. وقيل: فائدة ذكره أَهَمُّ بآشَرُوا ذلك بأنفسهم ولم يَأْمُرُوا به غيرهم، فإنَّ قولك: فَعَلَ فلانٌ كذا يَحْتَمِلُ أنه أمر بفعله ولم يباشره، نحو: بنى الأميرُ المدينة، فأتى بذلك رَفْعاً لهذا المجاز. وقيل: فائدته بيانُ جُرْأَتِهِمْ وَجَاهَرَتِهِمْ، فإنَّ المباشرَ للفعل أشدُّ مَوَاقَعَةً مِمَّنْ لم يباشره. وهذان القولان قريبان من التأكيد، فإنَّ أصلَ التأكيد رفعُ توهّم المجاز. وقال ابن السّراج: «ذَكَرُ الأيدي كنايةٌ عن أَنَّهُم اختلقوا ذلك من تلقائهم وَمِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ» وهذا الذي قاله لا يَلِزُ^(١).

وعند قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) [الأنعام: ٣٨] قال ابن عاشور: (وقوله: (في الأرض) صفة قصد منها إفادة التعميم والشمول بذكر اسم المكان الذي يحوي جميع الدواب وهو الأرض، وكذلك وصف طائر بقوله: (يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) قصد به الشمول والإحاطة؛ لأنه وصف آيل إلى معنى التوكيد، لأن مفاد يطير بجناحيه أنه طائر، كأنه قيل: ولا طائر ولا طائر. والتوكيد هنا يؤكد معنى الشمول الذي دلت عليه (من) الزائدة

(١). الدر المصون ١: ٤٥١.

في سياق النفي فحصل من هذين الوصفين تقرير معنى الشمول الحاصل من نفي اسمي الجنسين. ونكتة التوكيد أن الخبر لغرابته عندهم وكونه مظنة إنكارهم أنه حقيق بأن يؤكد.

ووقع في «المفتاح» في بحث إتباع المسند إليه بالبيان أن هذين الوصفين في هذه الآية للدلالة على أن القصد من اللفظين الجنس لا بعض الأفراد وهو غير ما في «الكشاف»، وكيف يتوهم أن المقصود بعض الأفراد ووجود (من) في النفي نص على نفي الجنس دون الوحدة.

وبهذا تعلم أن ليس وصف (يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) وارداً لرفع احتمال المجاز في (طائر) كما جنح إليه كثير من المفسرين، وإن كان رفع احتمال المجاز من جملة نكت التوكيد اللفظي إلا أنه غير مطرد، ولأن اعتبار تأكيد العموم أولى، بخلاف نحو قولهم: نظرتُه بعيني وسمعتُه بأذني^(١).

وعند قوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) [النساء: ١٥١] قال: (وحقاً مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله، أي حقهم حقاً أيها السامع بالغين النهاية في الكفر، ونظير هذا قولهم: (جداً). والتوكيد في مثل هذا لمضمون الجملة التي قبله على ما أفادته الجملة، وليس هو لرفع المجاز، فهو تأكيد لما أفادته الجملة من الدلالة على معنى النهاية لأن القصر مستعمل في ذلك المعنى، ولم يقصد بالتوكيد أن يصير القصر حقيقياً لظهور أن ذلك لا يستقيم.

فقول بعض النحاة، في المصدر المؤكد لمضمون الجملة: إنه يفيد رفع احتمال المجاز، بناء منهم على الغالب في مفاد التأكيد^(٢).

(١). التحرير والتنوير ٧: ٢١٥.

(٢). التحرير والتنوير ٦: ١٢.

وعند قوله تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [الأنفال: ١٧] قال: (وقوله: (إِذْ رَمَيْتَ) زيادة تقييد للرمي وأنه الرمي المعروف المشهور، وإنما احتيج إليه في هذا الخبر ولم يؤت بمثله في قوله: فلم تقتلوهم لأن القتل لما كانت له أسباب كثيرة كان اختصاص سيوف المسلمين بتأثيره غير مشاهد، وكان من المعلوم أن الموت قد يحصل من غير فعل فاعل غير الله، لم يكن نفي ذلك التأثير، وإسناد حصوله إلى مجرد فعل الله محتاجا إلى التأكيد بخلاف كون رمي الحصى الحاصل بيد الرسول صلى الله عليه وسلم حاصلًا منه، فإن ذلك أمر مشاهد لا يقبل الاحتمال، فاحتيج في نفيه إلى التأكيد إبطالًا لاحتمال المجاز في النفي بأن يحمل على نفي رمي كامل، فإن العرب قد ينفون الفعل ومرادهم نفي كماله حتى قد يجمعون بين الشيء وإثباته أو نفي ضده بهذا الاعتبار، كقول عباس بن مرداس:

فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعِ

أي شيئًا مجديًا، فدل قوله: إذ رميت على أن المراد بالنفي في قوله: (وَمَا رَمَيْتَ) هو الرمي بمعنى أثره وحصول المقصود منه، وليس المراد نفي وقوع الرمي مثل المراد في قوله: فلم تقتلوهم لأن الرمي واقع من يد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد نفي تأثيره، فإن المقصود من ذلك الرمي إصابة عيون أهل جيش المشركين وما كان ذلك بالذي يحصل برمي اليد، لأن أثر رمي البشر لا يبلغ أثره مبلغ تلك الرمية، فلما ظهر من أثرها ما عم الجيش كلهم، علم انتفاء أن تكون تلك الرمية مدفوعة بيد مخلوق، ولكنها مدفوعة بقدره الخالق الخارجة عن الحد المتعارف، وأن المراد بإثبات الرمي في قوله: ولكن الله رمى كالقول في ولكن الله قتلهم^(١).

(١). التحرير والتنوير ٩: ٢٩٥.

قال الأنباري: (إن قال قائل: ما الفائدة في التوكيد؟ قيل: الفائدة في التوكيد التحقيق، وإزالة التجوز في الكلام؛ لأن من كلامهم المجاز، ألا ترى أنهم يقولون: (مررت بزيد) وهم يريدون المرور بمنزله ومحلّه، و(جاءني القوم) وهم يريدون بعضهم؟ قال الله تعالى: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ)، وإنما كان جبريل وحده؛ فإذا قلت: (مررت بزيد نفسه) زال هذا المجاز، وكذلك إذا قلت: (جاءني القوم كلهم) زال هذا المجاز أيضاً؛ قال الله تعالى: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ)، فزال هذا المجاز الذي كان في قوله: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ)؛ لوجود التوكيد فيه. (١)

٢. قاعدة: (إذا دارَ الكلامُ بينَ التَّوكِيدِ والتَّأْسِيسِ رَجَحَ حَمْلُهُ عَلَى التَّأْسِيسِ)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء، منهم أبو حيان والسمين الحلبي والشنقيطي وابن عاشور أبو زهرة، فعند قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧] قال الشنقيطي: (وفي الآية الكريمة قرينة تدل على أن المراد بالحياة الطيبة في الآية: حياته في الدنيا حياة طيبة، وتلك القرينة هي أننا لو قدرنا أن المراد بالحياة الطيبة: حياته في الجنة في قوله: (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) صار قوله: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) تكراراً معه؛ لأن تلك الحياة الطيبة هي أجر عملهم، بخلاف ما لو قدرنا أنها في الحياة الدنيا، فإنه يصير المعنى: فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة، ولنجزينه في الآخرة بأحسن ما كان

(١). أسرار العربية، لعبد الرحمن الأنصاري الأنباري: ٢٠٨.

يعمل، وهو واضح. وهذا المعنى الذي دل عليه القرآن تؤيده السنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم.

وقد تقرر في الأصول: أنه إذا دار الكلام بين التوكيد والتأسيس رجع حمله على التأسيس؛ وإليه أشار في مراقبي السعود جامعاً له مع نظائر يجب فيها تقديم الراجح من الاحتمالين بقوله:

كذاك ما قابل ذا اعتلال ... من التأصل والاستقلال

ومن تأسس عموم وبقا ... الأفراد والإطلاق مما ينتقي

كذاك ترتيب لإيجاب العمل ... بما له الرجحان مما يحتمل

ومعنى كلام صاحب المراقي: أنه يقدم محتمل اللفظ الراجح على المحتمل المرجوح، كالتأصل، فإنه يقدم على الزيادة؛ نحو: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١] يحتمل كون الكاف زائدة، ويحتمل أنها غير زائدة. والمراد بالمثل الذات، كقول العرب: مثلك لا يفعل هذا، يعنون أنت لا ينبغي لك أن تفعل هذا. فالمعنى: ليس كالله شيء. ونظيره من إطلاق المثل وإرادة الذات: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) [الأحقاف: ١٠] أي: على نفس القرآن، لا شيء آخر مماثل له، وقوله: (كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ) [الأنعام: ١٢٢] أي: كمن هو في الظلمات، وكالاستقلال، فإنه يقدم على الإضمار، كقوله تعالى: (أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا) [المائدة: ٣٣] الآية. فكثير من العلماء يضمرون قيوداً غير مذكورة فيقولون: أن يقتلوا إذا قتلوا، أو يصلبوا إذا قتلوا وأخذوا المال، أو تقطع أيديهم وأرجلهم إذا أخذوا المال ولم يقتلوا. الخ.

فالمالكية يرجحون أن الإمام مخير بين المذكورات مطلقاً؛ لأن استقلال اللفظ أرجح من إضمار قيود غير مذكورة؛ لأن الأصل عدمها حتى تثبت بدليل، كما أشرنا إليه سابقاً في (المائدة) وكذلك التأسيس يقدم على التأكيد، وهو محل الشاهد، كقوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في (سورة الرحمن) وقوله:

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) في (المرسلات) قيل: تكرار اللفظ فيهما تأكيد، وكونه تأسيساً أرجح لما ذكرنا، فتحمل الآلاء في كل موضع على ما تقدم قبل لفظ ذلك التكذيب، فلا يتكرر منها لفظ. وكذا يقال في (سورة المرسلات) فيحمل على المكذبين بما ذكر قبل كل لفظ الخ.

فإذا علمت ذلك فاعلم: أنا إن حملنا الحياة الطيبة في الآية على الحياة الدنيا كان ذلك تأسيساً، وإن حملناها على حياة الجنة تكرر ذلك مع قوله بعده: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم) الآية. لأن حياة الجنة الطيبة هي أجرهم الذي يجزوناه (١).

وعند قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [النور: ٤١] قال الشنقيطي: (الضمير المحذوف الذي هو فاعل علم قال بعض أهل العلم: إنه راجع إلى الله في قوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ) الآية. وعلى هذا فالمعنى كل من المسيحين والمصلين قد علم الله صلاته وتسبيحه. وقال بعض أهل العلم: إن الضمير المذكور راجع إلى قوله: كل، أي: كل من المصلين والمسيحين قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه. وقد قدمنا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) الآية، كلام الأصوليين في أن اللفظ إن احتمل التوكيد والتأسيس حمل على التأسيس، وبيننا أمثلة متعددة لذلك من القرآن العظيم.

وإذا علمت ذلك فاعلم أن الأظهر على مقتضى ما ذكرنا عن الأصوليين أن يكون ضمير الفاعل المحذوف في قوله: (كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) راجعاً إلى قوله: كل، أي: كل من المصلين قد علم صلاة نفسه، وكل من المسيحين قد علم

(١). باختصار من: أضواء البيان ٣: ٤٢٤.

تسبيح نفسه. وعلى هذا القول فقوله تعالى: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) تأسيس لا تأكيد. أما على القول بأن الضمير راجع إلى الله، أي: قد علم الله صلاته يكون قوله: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) كالتكرار مع ذلك فيكون من قبيل التوكيد اللفظي. وقد علمت أن المقرر هي الأصول أن الحمل على التأسيس أرجح من الحمل على التوكيد كما تقدم إيضاحه. والظاهر أن الطير تسبح وتصلّي صلاة وتسبيحاً يعلمهما الله، ونحن لا نعلمهما كما قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).

ومن الآيات الدالة على أن غير العقلاء من المخلوقات لها إدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه قوله تعالى في الحجارة: (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) [البقرة: ٧٤] فأثبت خشيته للحجارة، والخشية تكون بإدراك وقوله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) [الحشر: ٢١]، وقوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) [الأحزاب: ٧٢] الآية. والإباء والإشفاق إنما يكون بإدراك، والآيات والأحاديث واردة بذلك، وهو الحق. وظاهر الآية أن للطير صلاة وتسبيحاً، ولا مانع من الحمل على الظاهر. ونقل القرطبي عن سفيان: أن للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود. اهـ^(١).

وعند قوله تعالى: (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [البقرة: ٦١] قال أبو حيان: (ولما ذكر تعالى حلول العقوبة بهم من ضرب الذلة والمسكنة والمباءة بالغضب، بين علة ذلك، فبدأ بأعظم الأسباب في ذلك، وهو كفرهم بآيات الله. ثم ثنى بما يتلو ذلك في العظم وهو قتل الأنبياء، ثم أعقب ذلك بما يكون من المعاصي، وما يتعدى من الظلم. قال معنى هذا صاحب المنتخب، ويظهر أن

(١). أضواء البيان ٦: ٢٧١.

قوله ذلك بأنهم كانوا يكفرون ويقتلون، تعليل لضرب الذلة والمسكنة والمبائة بالغضب، وأن الإشارة بقوله ذلك بما عصوا إشارة إلى الكفر والقتل، وبما تعليل لهما فيعود العصيان إلى الكفر، ويعود الاعتداء إلى القتل، فيكون قد ذكر شيئين وقابلهما بشيئين. كما ذكر أولاً شيئين وهما: الضرب والمبائة، وقابلهما بشيئين وهما: الكفر والقتل، فجاء هذا لفا ونشرا في المؤمنين، وذلك من محاسن الكلام وجودة تركيبه، ويخرج بذلك عن التأكيد الذي لا يصار إليه إلا عند الحاجة، وذلك بأن يكون الكلام يبعد أن يحمل على التأسيس^(١).

وعند قوله سبحانه: (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ) [النساء: ١٢٧] قال: ((في يَتَامَى) بدل من (في الكتاب)). وقال أبو البقاء في الثانية: تتعلق بما تعلقت به الأولى، لأن معناها يختلف، فالأولى ظرف، والثانية بمعنى الباء أي: بسبب اليتامى، كما تقول: جئتك في يوم الجمعة في أمر زيد. ويجوز أن تتعلق الثانية بالكتاب أي: فيما كتب بحكم اليتامى.

ويجوز أن تكون الثانية حالا، فتتعلق بمحذوف. وأما النصب فعلى التقدير: ويبين لكم ما يتلى، لأن يفتيكم معناها يبين فدلّت عليها. وأما الجر فمن وجهين: أحدهما: أن تكون الواو للقسم كأنه قال: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب، والقسم بمعنى التعظيم، قاله الزمخشري: والثاني: أن يكون معطوفاً على الضمير المحرور في فيهن، قاله محمد بن أبي موسى. وقال: أفتاهم الله فيما سألوا عنه، وفي ما لم يسألوا عنه. قال ابن عطية: ويضعف هذا التأويل ما فيه من العطف على الضمير المخفوض بغير إعادة حرف الخفض. قال الزمخشري: ليس

(١). البحر المحيط ١: ٣٨٣.

بسديد أن يعطف على المجرور في فيهن، لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى انتهى.

والذي أختاره هذا الوجه، وإن كان مشهور مذهب جمهور البصريين أن ذلك لا يجوز إلا في الشعر، لكن قد ذكرت دلائل جواز ذلك في الكلام. وأمعنت في ذكر الدلائل على ذلك في تفسير قوله: وكفر به والمسجد الحرام وليس محتلا من حيث اللفظ، لأننا قد استدللنا على جواز ذلك، ولا من حيث المعنى كما زعم الزمخشري، بل المعنى عليه ويكون على تقدير حذف أي: يفتيكم في متلوهم وفيما يتلى عليكم في الكتاب، من إضافة متلو إلى ضميرهن سائغة، إذ الإضافة تكون لأدنى ملابسة لما كان متلوا فيهن صحت الإضافة إليهما. ومن ذلك قول الشاعر:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة

وأما قول الزمخشري: لاختلاله في اللفظ والمعنى فهو قول الزجاج بعينه. قال الزجاج: وهذا بعيد، لأنه بالنسبة إلى اللفظ وإلى المعنى، أما اللفظ فإنه يقتضي عطف المظهر على المضمير، وذلك غير جائز. كما لم يجز قوله: تسألون به والأرحام، وأما المعنى فإنه تعالى أفتى في تلك المسائل، وتقدير العطف على الضمير يقتضي أنه أفتى فيما يتلى عليكم في الكتاب. ومعلوم أنه ليس المراد ذلك، وإنما المراد أنه تعالى يفتي فيما سأله من المسائل انتهى كلامه. وقد بينا صحة المعنى على تقدير ذلك المحذوف، والرفع على العطف على الله، أو على ضمير يخرجه عن التأسيس. وعلى الجملة تخرج الجملة بأسرها عن التأسيس، وكذلك الجر على القسم. فالنصب بإضمار فعل، والعطف على الضمير يجعله تأسيسا. وإذا أراد الأمرين: التأسيس والتأكيد، كان حمله على التأسيس هو الأولى، ولا يذهب إلى التأكيد إلا عند اتضاح عدم التأسيس^(١).

(١). البحر المحيط ٤: ٨٢.

وعند قوله تعالى: (رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) [يوسف: ٤] قال السمين الحلبي: (يحتمل وجهين، أحدهما: أنها جملة كُرِّرَتْ للتوكيد لما طال الفصل بالمفاعيل كُرِّرَتْ كما كُرِّرَتْ «أنكم» في قوله: (أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ) [المؤمنون: ٣٥] كذا قاله الشيخ.

والثاني: أنه ليس بتأكيد، وإليه نحا الزمخشري: فإنه قال: «فإن قلت: ما معنى تكرار رأيتهم؟ قلت: ليس بتكرار، إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله: (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) كيف رأيتهما؟ سائلاً عن حال رؤيتهما، فقال: رأيتهم لي ساجدين».

قلت: وهذا أظهر لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد أو التأسيس فَحَمَلُهُ على الثاني أولى^(١).

وعند قوله سبحانه: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) [الروم: ١٦] قال ابن عاشور: (والمُحْضَرُونَ) يجوز أن يكون من الإحضار، أي: جعل الشيء حاضراً، أي: لا يغيبون عنه، أي: لا يخرجون منه، وهو يفيد التأييد بطريق الكناية؛ لأنه لما ذكر بعد قوله في العذاب ناسب أن لا يكون المقصود من وصفهم المحضرين أنهم كائنون في العذاب لئلا يكون مجرد تأكيد بمدلول في الظرفية، فإن التأسيس أوقع من التأكيد.

ويجوز أن يكون محضرون بمعنى مأتي بهم إلى العذاب فقد كثر في القرآن استعمال محضر ونحوه بمعنى معاقب، قال تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) [الصافات: ١٥٨]^(٢).

(١). الدر المصون ٦: ٤٣٦.

(٢). التحرير والتنوير ٢١: ٦٤.

وعند قوله سبحانه: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) [الفاحة: ٣] قال: (وتقديم الرحمن على الرحيم لأن الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها.

وينسب إلى قطرب أن الرحمن والرحيم يدلان على معنى واحد من الصفة المشبهة فهما متساويان وجعل الجمع بينهما في الآية من قبيل التوكيد اللفظي ومال إليه الزجاج، وهو وجه ضعيف إذ التوكيد خلاف الأصل والتأسيس خير من التأكيد، والمقام هنا بعيد عن مقتضى التوكيد^(١).

وعند قوله سبحانه: (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) [ق: ٣١] قال: (وقوله: (غَيْرَ بَعِيدٍ) يرجح الاحتمال الأول، أي غير بعيد منهم، وإلا صار تأكيداً لفظياً لـ (أُزْلِفَتِ) كما يقال: عاجل غير آجل، وقوله: (وَأُزْلِفَتِ) فرعون قومَهُ وَمَا هَدَى) [طه: ٧٩] والتأسيس أرجح من احتمال التأكيد^(٢).

وعند قوله تعالى: (فَوَهَّبْ لِي رَبِّي حُكْماً وَجْعَلْنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [الشعراء: ٢١] قال أبو زهرة: والحكم هو الحكمة أي التجربة، وبعد أن كان غفلاً في النعمة في قصر فرعون اكتسب حكمة وتجربة، وعمل وكسب، فإن الشدة تصقل النفس، وتربي الحكمة ووزن الأمور والأفعال، ويصح أن يكون الحكم بمعنى الرسالة، والأول أولى؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد، وجعلني رسولا من المرسلين الذين أرسلهم رب العالمين، فقد جعله الله تعالى من أولي العزم من الرسل^(٣).

(١). التحرير والتنوير ١: ١٧٢.

(٢). التحرير والتنوير ٢٦: ٣١٩.

(٣). زهرة التفاسير ١٠: ٥٣٤٦.

٣. قاعدة: (المصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانياً)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الزجاج، فعند قوله عز وجل: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [النساء: ٦٥] قال: (أي يسلمون لما يأتي به من حكمك، لا يعارضونه بشيء، وتسليماً مصدر مؤكد، والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانياً، كأنك إذا قلت: سلمت تسليماً فقد قلت: سَلَّمْتُ سَلَّمْتُ).

وحق التوكيد أن يكون محققاً لما تذكره في صدر كلامك، فإذا قلت ضربت ضرباً، فكأنك قلت أحدثت ضرباً أحقه ولا أشك فيه، وكذلك (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) أي يسلمون لحكمك تسليماً، لا يدخلون على أنفسهم فيه شكاً^(١).

٤. قاعدة: (العرب لا تكاد تدخل نون التوكيد في الجزاء حتى يصلوها

ب(ما))

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الفراء فقد قال: (قوله تعالى: (فَإِذَا تَنَفَّقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ) [الأنفال: ٥٧]، وقوله: (وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً) [الأنفال: ٥٨] بيان أن العرب لا تكاد تدخل نون التوكيد في الجزاء حتى يصلوها بما)^(٢).

وعند قوله سبحانه: (فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) [البقرة: ٣٨] قال الطبري: (وتأويل قوله: (فإذا يأتينكم)، فإن يأتكم. و(ما) التي مع (إن) توكيد للكلام،

(١). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢: ٧١.

(٢). معاني القرآن للفراء ١: ٥٠٤.

ولدخولها مع (إن) أدخلت النون المشددة في (يَأْتِيَنَّكُمْ)، تفرقةً بدخولها بين (ما) التي تأتي بمعنى توكيد الكلام -التي تسميها أهل العربية صلة وحشواً- وبين (ما) التي تأتي بمعنى (الذي)، فتؤذن بدخولها في الفعل، أنّ (ما) التي مع (إن) التي بمعنى الجزاء، توكيد، وليست (ما) التي بمعنى (الذي).

وقد قال بعض نحويي أهل البصرة: إنّ (إمّا) إن زيدت معها (ما) وصار الفعل الذي بعده بالنون الخفيفة أو الثقيلة، وقد يكون بغير نون. وإنما حسنت فيه النون لما دخلته (ما)، لأن (ما) نفْيٌ، فهي مما ليس بواجب، وهي الحرف الذي ينفي الواجب، فحسنت فيه النون، نحو قولهم: (بعينٍ مّا أرينك)، حين أدخلت فيها (ما) حسنت النون فيما ها هنا.

وقد أنكرت جماعة من أهل العربية دعوى قائل هذه المقالة: أن (ما) التي مع (بعينٍ مّا أرينك) بمعنى الجحد، وزعموا أن ذلك بمعنى التوكيد للكلام. وقال آخرون: بل هو حشو في الكلام، ومعناها الحذف، وإنما معنى الكلام: (بعين أراك)، وغير جائز أن يُجعل مع الاختلاف فيه أصلاً يُقاس عليه غيره^(١).

وقال الزجاج: (وإعراب (إمّا) في هذا الموضع إعراب حروف الشرط والجزاء، إلا أن الجزاء إذا جاء في الفعل معه النون الثقيلة أو الخفيفة لزمتهما ما ومعنى لزومها إياها معنى التوكيد، وكذلك معنى دخول النون في الشرط التوكيد. والأبلغ فيما يؤمر العباد به التوكيد عليهم فيه. وفتح ما قبل النون في قوله: (يَأْتِيَنَّكُمْ) لسكون الياء وسكون النون الأولى، وجواب الشرط في الفاء مع الشرط الثاني وجوابه وهو (فَمَنْ تَبَعَ هُذَيْي))^(٢).

(١). تفسير الطبري ١: ٥٤٨.

(٢). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١: ١١٧.

وقال المنتجب الهمداني: (الأصل في اللفظ (إن ما) مفصولة، ولكنها أدغمت وكتبت في "الإمام" على الإدغام، وهي إن الشرطية ضمت إليها (ما) مُؤَكِّدَةً لمعنى الشرط، ولذلك لزمّت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة في حال السَّعة والاختيار. وكل واحد منهما يُؤْذِنُ بإرادة شِدَّة التوكيد، ف (ما) مع حرف الشرط يؤكد صدر الكلام، والنون تؤكد آخره، ولا يكون إلا مع المستقبل، ولا يكون مع الحال ولا الماضي، لأنهما ثابتان، والثابت لا يفتقر إلى التأكيد كما يفتقر إليه ما لم يثبت وهو المستقبل. والفعل معه مبني، وما قبله مفتوح لالتقاء الساكنين: الياء التي هي لام الفعل، والنون الأولى^(١).

وقال ابن عاشور: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي شرط على شرط لأن (إما) شرط مركب من إن الشرطية وما الزائدة دالة على تأكيد التعليق لأن إن بمجرد دالة على الشرط فلم يكن دخول ما الزائدة عليها كدخولها على (متى) و (أي) و (أين) و (أيان) و (ما) و (من) و (مهما) على القول بأن أصلها ماما لأن تلك كانت زيادتها لجعلها مفيدة معنى الشرط فإن هذه الكلمات لم توضع له بخلاف (إن) وقد التزمت العرب تأكيد فعل الشرط مع إما بنون التوكيد لزيادة توكيد التعليق بدخول علامته على أداته وعلى فعله فهو تأكيد لا يفيد تحقيق حصول الجواب لأنه مناف للتعليق، ولذلك لم يؤكد جواب الشرط بالنون بل يفيد تحقيق الربط أي إن كون حصول الجواب متوقفا على حصول الشرط أمر محقق لا محالة فإن التعليق ما هو إلا خبر من الأخبار، إذ حاصله الإخبار بتوقف حصول الجزاء على حصول الشرط فلا جرم كان كغيره من الأخبار قابلا للتوكيد وقلما خلا فعل الشرط مع إما عن نون التوكيد كقول الأعشى:

(١). الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للهمداني ١: ٢٣٥.

إما ترينا حفاة نعال لنا ... إنا كذلك ما نحفى وننتعل
وهو غير حسن عند سيويه والفارسي، وقال المبرد والزجاج هو ممنوع
فجعلوا خلو الفعل عنه ضرورة^(١).

هـ. قاعدة: (قَدْ تَأْتِي الصِّفَةُ لِلتَّأْكِيدِ)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم المنتجب الهمداني
والسمين الحلبي، فعند قوله سبحانه: ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ
الْأُخْرَى) [النجم: ١٩-٢٠] قال المنتجب الهمداني: (و(الثالث): صفة لمناة و
(الأخرى) صفة بعد صفة جيء بها على وجه التوكيد، لأن الثالثة لا تكون إلا
للأخرى، ولكن الصفات تُذكر للتأكيد، كأَمْسِ المدبر، وأَمْسِ الدابر. وقيل:
(الأخرى) صفة للعزى، والتقدير: العزى الأخرى ومناة الثالثة. وقيل: الأخرى
ذم، وهي المتأخرة الوضعية المقدار. وقيل: أصل مناة: مَنَاءٌ بالهمز، وهو من
قولهم: مَنَأْتُ، إذا مسحت، لأنهم كانوا يمسحونها بأيديهم^(٢).

وعند قوله تعالى: (انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ) [النساء: ١٧١] قال السمين الحلبي: (نصب خيراً هنا كنصبه فيما تقدم
في جميع وجوهه نسبته إلى قائله. وأن يكون له ولد تقديره: من أن يكون، أو:
عن أن يكون، لأن معنى سبحان التنزيه، فكأنه قيل: نَزَّهوه عن أن يكون، أو
من أن يكون له ولد، فيجيء في محل أن الوجهان المشهوران.

(١). التحرير والتنوير ١: ٤٤١.

(٢). الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٦: ٣٤.

و(واحد) نعت على سبيل التوكيد، وظاهر كلام مكي أنه نعت لا على سبيل التوكيد، فإنه قال: والله مبتدأ، و إله خبره، واحد نعت تقديره: إنما الله منفرد في إلهيته وقيل: واحد تأكيد بمنزلة (لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ) [النحل: ٥١]، ويجوز أن يكون إله بدلاً من الله و(واحد) خبره، تقديره: إنما المعبود واحد^(١). وعند قوله سبحانه: (وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) [الأنعام: ٢٩] قال: (والدنيا صفة الحياة، وليست صفةً مزيلةً اشتراكاً عارضاً، يعني أن ثَمَّ حياةً غيرَ دنيا يُقَرُّونَ بها، لأنهم لا يعرفون إلا هذه، فهي صفةٌ لمجرد التوكيد، كذا قيل، ويعنون بذلك أنها لا مفهوم لها، وإلاّ فحقيقةُ التوكيد غير ظاهرةٍ بخلاف (نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) [الحاقة: ١٣] . والباء في قوله «مبعضين» زائدةٌ لتأكيد الخبر المنفي، ويحتمل مجرورها أن يكون منصوبٌ المحلّ على أن «ما» حجازيةٌ، أو مرفوعةٌ على أنها تيمية^(٢).

وعند قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [الأنعام: ٣٥] قال: ((نَفَقًا فِي الْأَرْضِ) ظاهره أنه متعلق بالفعل قبله، ويجوز أن يكون صفةً ل «نَفَقًا» فيتعلّق بمحذوف، وهي صفة لمجرد التوكيد إذ النفق لا يكون إلا في الأرض. وجوّز أبو البقاء مع هذين الوجهين أن يكونَ حالاً من فاعل «تَبْتَغِي» أي: وأنت في الأرض^(٣).

(١). الدر المصون ٤: ١٦٧.

(٢). الدر المصون ٤: ٥٩٤.

(٣). الدر المصون ٤: ٦٠٩.

٦. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ التَّنْيَةُ مَعْنَى التَّكْيِيدِ)

هذه القاعدة مستفادة من القرطبي، فعند قوله سبحانه: (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) [ق: ٢٤] قال: (قال الخليل والأخفش: هذا كلام العرب الفصيح أن تخاطب الواحد بلفظ الاثنين فتقول: ويلك ارحلها وازجرها، وخذاه وأطلقاه للواحد. قال الفراء: تقول للواحد قوما عنا، وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه ورفقته في سفره اثنان فجرى كلام الرجل على صاحبيه، ومنه قولهم للواحد في الشعر: خليلي، ثم يقول: يا صاح. وقيل: جاء كذلك لأن القرن يقع للجماعة والاثنين.

وقال المازني: قوله (ألقيا) يدل على ألق ألق. وقال المبرد: هي تننية على التوكيد، المعنى ألق ألق فتاب (ألقيا) مناب التكرار. ويجوز أن يكون (ألقيا) تننية على خطاب الحقيقة من قول الله تعالى يخاطب به الملكين^(١).

٧. قاعدة: (الاستثناء تأويله عند النحويين توكيد العدد وتحصيله

وكماله)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الزجاج، فعند قوله عز وجل: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) [العنكبوت: ١٤] قال: (فالاستثناء مُسْتَعْمَلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَتَأْوِيلُهُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ تَوْكِيدُ الْعَدَدِ وَتَحْصِيلُهُ وَكَمَالُهُ، لِأَنَّكَ قَدْ تَذَكَّرَ الْجُمْلَةَ وَيَكُونُ الْحَاصِلُ أَكْثَرَهَا، فَإِذَا أُرِدْتَ التَّوَكِيدَ فِي تَمَامِهَا قُلْتَ كُلَّهَا،

(١). باختصار من تفسير القرطبي ١٧: ١٦.

وإذا أردت التوكيدَ في نقصانها أدخلت فيها الاستثناء، تقول: جاءني إخوتك
يعني أن جميعهم جاءك.

وجائز أن تعني أن أكثرهم جاءك، فإذا قلت: جاءني إخوتك كُلُّهم أَكَّدْتَ
معنى الجماعة، وأعلّمت أنه لم يتخلف منهم أحد.

وتقول أيضاً: جاءني إخوتك إلا زيداً فتؤكد أن الجماعة تنقصُ زيداً.

وكذلك رؤوس الأعدادِ مُشَبَّهَةٌ بالجماعات، تقول: عندي عشرة، فتكون
ناقصةً، وجائز أن تكون تامةً، فإذا قلت: عشرة إلا نصفاً أو عشرة كاملة
حققت، وكذلك إذا قلت: ألف إلا خمسين فهو كقولك عشرة إلا نصفاً لأنك
إنما استعملت الاستثناء فيما كان أملك بالعشرة من التسعة، لأن النصف قد
دخل في باب العشرة، ولو قلت: عشرة إلا واحداً أو إلا اثنين كان جائزاً وفيه
فُجَح، لأن تسعةً وثمانيةً يؤدي عن ذلك العدد، ولكنه جائز من جهة التوكيد أن
هذه التسعة لا تزيد ولا تنقص، لأن قولك عشرة إلا واحداً قد أخبرت أفيه،
بحقيقة العدد واستثنيته ما يكون نقصاناً من رأس العدد.

والاختيار في الاستثناء في الأعداد التي هي عُقُودُ الكسور والصحاح جائز
أن يستثنى.

فأما استثناء نصف الشيء فقبيح جداً، لا يتكلم به الجرب، فإذا قلت
عشرة إلا خمسةً فليس تطور العشرة بالخمسة لأنها ليست تقرب منها، وإنما
تتكلم بالاستثناء كما تتكلم بالنقصان، فتقول: عندي درهم ينقص قيراطاً، ولو
قلت عندي درهم ينقص خمسة دوانيق أو تنقص نصفه كان الأولى بذلك:
عندي نصف درهم. ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قليلاً من كثير^(١).

(١). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤: ١٦٣.

٨. قاعدة: (إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى الْجَارِحَةِ الَّتِي يَعْمَلُ بِهَا أُبْلَغُ فِي التَّوَكِيدِ)

هذه القاعدة مستفادة من الزمخشري، فعند قوله سبحانه: (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) [البقرة: ٢٨٣] قال: (فإن قلت: هلا اقتصر على قوله: (فإنَّه آثِمٌ)؟ وما فائدة ذكر القلب والجمله هي الآثمة لا القلب وحده؟

قلت: كتمان الشهادة: هو أن يضمها ولا يتكلم بها، فلما كان إثما مقترفا بالقلب أسند إليه، لأنَّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ. ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا مما أبصرته عيني، ومما سمعته أذني، ومما عرفه قلبي، ولأنَّ القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله، فكأنه قيل: فقد تمكن الإثم في أصل نفسه، وملك أشرف مكان فيه. ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أنَّ القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه، واللسان ترجمان عنه. ولأنَّ أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها. ألا ترى أنَّ أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر، وهما من أفعال القلوب، فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاصم الذنوب)^(١).

(١). الكشف ١: ٣٢٩.

٩. قاعدة: (الشَّهادةُ تجري مجرى الحلفِ فيما يُرادُ بهِ مِنَ التَّوكيدِ)

هذه القاعدة مستفادة من الزمخشري، فعند قوله سبحانه: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) [المنافقون: ١] قال: (فإن قلت: أي فائدة في قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ)؟ قلت: لو قال: قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يشهد إنهم الكاذبون، لكان يوهم أنّ قولهم هذا كذب، فوسط بينهما قوله: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) ليميط هذا الإيهام، (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) يجوز أن يراد أنّ قولهم نشهد أنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة؛ لأنّ الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، يقول الرجل: أشهد وأشهد بالله، وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولى. وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن «أشهد» يمين (١).

١٠. قاعدة: (أسلوبُ الإبدالِ له مِنَ الفائدةِ مثلُ مَا لِلتَّوكيدِ المَعْنَوِيّ)

هذه القاعدة مستفادة من ابن عاشور فعند قوله سبحانه: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة: ٧] قال: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: بدل أو عطف بيان من الصراط المستقيم، وإنما جاء نظم الآية بأسلوب الإبدال أو البيان دون أن يقال: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم المستقيم، لفائدتين: الأولى: أن المقصود من الطلب ابتداء هو كون المهدي إليه وسيلة للنجاة واضحة سمحة سهلة، وأما كونها سبيل الذين أنعم الله عليهم فأمر زائد لبيان فضله. الفائدة الثانية: ما في أسلوب الإبدال من الإجمال المعقب بالتفصيل ليتمكن معنى الصراط للمطلوب فضل تمكن في نفوس المؤمنين الذين

(١). الكشف ٤: ٥٣٨.

لقنوا هذا الدعاء فيكون له من الفائدة مثل ما للتوكيد المعنوي، وأيضاً لما في هذا الأسلوب من تقرير حقيقة هذا الصراط وتحقيق مفهومه في نفوسهم فيحصل مفهومه مرتين فيحصل له من الفائدة ما يحصل بالتوكيد اللفظي واعتبار البدلية مساو لاعتباره عطف بيان لا مزية لأحدهما على الآخر خلافاً لمن حاول التفاضل بينهما، إذ التحقيق عندي أن عطف البيان اسم لنوع من البدل وهو البدل المطابق وهو الذي لم يفصح أحد من النحاة على تفرقة معنوية بينهما ولا شاهداً يعين المصير إلى أحدهما دون الآخر.

قال في «الكشاف»: «فإن قلت ما فائدة البدل؟ قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير» اهـ فأفهم كلامه أن فائدة الإبدال أمران يرجعان إلى التوكيد وهما ما فيه من التثنية أي تكرار لفظ البدل ولفظ المبدل منه.

وعنى بالتكرير ما يفيد البدل عند النحاة من تكرير العامل، وهو الذي مهد له في صدر كلامه بقوله: «وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل: اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين، وسماه تكريراً لأنه إعادة للفظ بعينه، بخلاف إعادة لفظ المبدل منه فإنه إعادة له بما يتحد مع ما صدقه فلذلك عبر بالتكرير وبالتثنية، ومراده أن مثل هذا البدل وهو الذي فيه إعادة لفظ المبدل منه يفيد فائدة البدل وفائدة التوكيد اللفظي، وقد علمت أن الجمع بين الأمرين لا يتأتى على وجه معتبر عند البلغاء إلا بهذا الصوغ البديع.

وإن إعادة الاسم في البدل أو البيان لبنى عليه ما يراد تعلقه بالاسم الأول أسلوب بهيج من الكلام البليغ لإشعار إعادة اللفظ بأن مدلوله بمحل العناية وأنه حبيب إلى النفس، ومثله تكرير الفعل كقوله تعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) [الفرقان: ٧٢]، وقوله: (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) [القصص: ٦٣]، فإن إعادة فعل مروا وفعل أغويناهم وتعليق المتعلق بالفعل المعاد دون الفعل الأول تجد له من الروعة والبهجة ما لا تجده لتعليقه بالفعل

الأول دون إعادة، وليست الإعادة في مثله لمجرد التأكيد لأنه قد زيد عليه ما تعلق به. قال ابن جني في «شرح مشكل الحماسة» عند قول الأحوص:
 فَإِذَا تَزُولُ تَزُولُ عَنْ مُتَحَمِّطٍ ... تُخْشَى بَوَادِرُهُ عَلَى الْأَقْرَانِ
 محال أن تقول إذا قمت قمت وإذا أقعد أقعد لأنه ليس في الثاني غير ما في الأول وإنما جاز أن يقول فإذا تزول تزول لما اتصل بالفعل الثاني من حرف الجر المفادة منه الفائدة، ومثله قول الله تعالى: هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا وقد كان أبو علي (يعني الفارسي) امتنع في هذه الآية مما أخذناه اهـ^(١).

١١. قاعدة: (قَدْ تَأْتِي الْمَفَاعَلَةُ عَلَى غَيْرِ بَابِهَا لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ)

هذه القاعدة مستفادة من ابن عاشور، فعند قوله تعالى: (وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) [البقرة: ٥١] قال: (وقراءة الجمهور وواعدنا بألف بعد الواو على صيغة المفاعلة المقتضية حصول الوعد من جانبين الوعد والموعود والمفاعلة على غير بابها لمجرد التأكيد على حد سافر وعافاه الله، وعالج المريض وقاتله الله، فتكون مجازا في التحقيق لأن المفاعلة تقتضي تكرر الفعل من فاعلين فإذا أخرجت عن بابها بقي التكرار فقط من غير نظر للفاعل ثم أريد من التكرار لازمه وهو المبالغة والتحقق فتكون بمنزلة التوكيد اللفظي. والأشهر أن المواعدة لما كان غالب أحوالها حصول الوعد من الجانبين شاع استعمال صيغتها في مطلق الوعد وقد شاع استعمالها أيضا في خصوص التواعد بالملاقاة.

(١). التحرير والتنوير ١: ١٩٢.

واستعملت هنا لأن المناجاة والتكلم يقتضي القرب فهو بمنزلة اللقاء على سبيل الاستعارة ولذلك استغنى عن ذكر الموعد به لظهوره من صيغة المواعدة. وقيل المفاعلة على بابها بتقدير أن الله وعد موسى أن يعطيه الشريعة وأمره بالحضور للمناجاة فوعد موسى ربه أن يمثل لذلك، فكان الوعد حاصلًا من الطرفين وذلك كاف في تصحيح المفاعلة بقطع النظر عن اختلاف الموعد به، وذلك لا ينافي المفاعلة لأن مبنى صيغة المفاعلة حصول فعل متماثل من جانبيين لا سيما إذا لم يذكر المتعلق في اللفظ كما هنا لقصد الإيجاز البديع لقصد إعظام المتعلق من الجانبين، ولك أن تقول سوغ حذفه علم المخاطبين به فإن هذا الكلام مسوق للتذكير لا للإخبار والتذكير يكتفى فيه بأقل إشارة فاستوى الحذف والذكر فرجح الإيجاز وإن كان الغالب اتحاده^(١).

وعند قوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ١٣٣] قال: (والمسارعة، على التقادير كلها تتعلق بأسباب المغفرة وأسباب دخول الجنة، فتعليقها بذات المغفرة والجنة من تعليق الأحكام بالذوات على إرادة أحوالها عند ظهور عدم الفائدة في التعلق بالذات.

وجيء بصيغة المفاعلة، مجردة عن معنى حصول الفعل من جانبين، قصد المبالغة في طلب الإسراع، والعرب تأتي بما يدل في الوضع على تكرار الفعل وهم يريدون التأكيد والمبالغة دون التكرير، ونظيره التثنية في قولهم: لبيك وسعديك، وقوله تعالى: (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) [الملك: ٤] ^(٢).

(١) . باختصار من: التحرير والتنوير ١ : ٤٩٧ .

(٢) . التحرير والتنوير ٤ : ٨٩ .

١٢. قاعدة: (الأخبارُ ثلاثةُ أقسامٍ: ابتدائيٌّ وطلبيٌّ وإنكاريٌّ، فالأولُ: يُقال لمن لم يتردّد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر مثل: زيد عارفٌ، والثاني: لمن هو متردّد في ذلك طالبٌ له منكرٌ له بعض إنكارٍ، فيقال له: إنّ زيداً عارفٌ، والثالث: لمن يبالغ في إنكارٍ فيقال له: إنّ زيداً لعارفٌ)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم السمين الحلبي، فعند قوله سبحانه: (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ) [يس: ١٤] قال: (جَرَدَ خبرَ «إِنَّ» هذه من لام التوكيد، وأدخَلها في خبر الثانية، لأنهم في الأولى استعملوا مجرّد الإنكارِ فقابَلَتهم الرسلُ بتوكيدٍ واحدٍ وهو الإتيانُ بـ «إِنَّ»، وفي الثانية بالمبالغة في الإنكارِ فقابَلَتهم بزيادة التوكيدِ فَأَتَوْا بـ إِنَّ وباللام.

قال أهل البيان: الأخبارُ ثلاثةُ أقسامٍ: ابتدائيٌّ وطلبيٌّ وإنكاريٌّ، فالأولُ يُقال لمن لم يتردّد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر نحو: زيد عارفٌ، والثاني لمن هو متردّد في ذلك، طالبٌ له منكرٌ له بعض إنكارٍ، فيقال له: إنّ زيداً عارفٌ، والثالث لمن يبالغ في إنكاره، فيقال له: إنّ زيداً لعارفٌ. ومن أحسن ما يُحكى أن رجلاً جاء إلى أبي العباس الكنديّ فقال: إني أجد في كلام العرب حشواً قال: وما ذاك؟ قال: يقولون: زيدٌ قائمٌ، وإنّ زيداً قائمٌ، وإنّ زيداً لقائمٌ. فقال: «كلا بل المعاني مختلفة، فزيد قائمٌ إخبارٌ بقيامه، وإنّ زيداً قائمٌ جوابٌ لسؤالٍ سائلٍ، وإنّ زيداً لقائمٌ جوابٌ عن إنكارٍ مُنكِرٍ».

وقال الشيخ: وجاء أولاً (مُرْسَلُونَ) بغير لام؛ لأنه ابتداءٌ إخبارٍ فلا يحتاج إلى توكيدٍ، وبعد المحاورة (لَمُرْسَلُونَ) بلام التوكيد؛ لأنه جوابٌ عن إنكارٍ، وهذا قصورٌ عن فهم ما قاله أهل البيان، فإنه جعلَ المقام الثاني وهو الطلبُ مكانَ المقام الأول، وهو الابتدائيُّ^(١).

(١). باختصار من: الدر المصون ٩: ٢٥١.

وعند قوله سبحانه: (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ٥٤] قال ابن عاشور: (خبر وثناء على الله، وتأكيده بحرف التوكيد لتنزيلهم منزلة من يشك في حصول التوبة عليهم لأن حالهم في عظم جرمهم حال من يشك في قبول التوبة عليه وإنما جمع التواب مع الرحيم لأن توبته تعالى عليهم كانت بالعفو عن زلة اتخاذهم العجل وهي زلة عظيمة لا يغفرها إلا الغفار، وبالنسخ لحكم قتلهم وذلك رحمة فكان للرحيم موقع عظيم هنا وليس هو لمجرد الثناء) ^(١).

وعند قوله تعالى (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة: ٩٧] قال: (والإتيان بحرف التوكيد في قوله: (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ) لأهم منكرون ذلك) ^(٢).

وعند قوله سبحانه: (إِنَّهُ يَرَأَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ) [الأعراف: ٢٧] قال: (وتأكيد الخبر بحرف التوكيد لتنزيل المخاطبين في إعراضهم عن الحذر من الشيطان وفتنته منزلة من يترددون في أن الشيطان يراهم وفي أنهم لا يرونه) ^(٣).

وعند قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأعراف: ١٩٤] قال: (صدر بحرف التوكيد لأن المشركين ينكرون مساواة الأصنام إياهم في العبودية، وفيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب).

(١). التحرير والتنوير ١: ٥٠٥.

(٢). التحرير والتنوير ١: ٦٢٢.

(٣). التحرير والتنوير ٨: ٧٩.

والمراد بـ(الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ): الأصنام، فتعريفها بالمتصل لتبنيهِ المخاطبين على خطأ رأيهم في دعائهم إياها من دون الله، في حين هي ليست أهلاً لذلك^(١).

وعند قوله سبحانه: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) [النمل: ٧٤] قال: (وأما التوكيد بـ إن فهو على نحو توكيد الجملة التي قبله. ولك أن تجعله لتنزيل السائل منزلة المتردد وذلك تلويح بالعتاب)^(٢).

١٣. قاعدة: (الأكثر في أجمع) وأخواته المستعملة في التأكيد إنما يؤتى بها بعد (كل)، وفي غير الأكثر قد تجيء بدون (كل)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء، منهم السمين الحلبي، فعند قوله تعالى: (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف: ١٨] قال: (أجمعين) تأكيد. واعلم أن الأكثر في أجمع وأخواته المستعملة في التأكيد إنما يؤتى بها بعد (كل) نحو: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) [الحجر: ٣٠] وفي غير الأكثر قد تجيء بدون (كل) كهذه الآية الكريمة، فإنَّ (أجمعين) تأكيد لـ(منكم)، ونظيرها فيما ذكرت لك أيضاً قوله تعالى: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) [الحجر: ٤٣]^(٣).

(١). التحرير والتنوير ٩: ٢٢٠.

(٢). التحرير والتنوير ٢٠: ٢٩.

(٣). الدر المصون ٥: ٢٧٥.

٤١. قاعدة: (قَدْ يَكُونُ التَّأْكِدُ بِطَرِيقِ تَأْكِدِ الشَّيْءِ بِمَا يُشْبِهُ ضِدَّهُ،
وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ: (تَأْكِدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ))

هذه القاعدة مستفادة من ابن عاشور، فعد قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ
الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ) [الأعراف: ٤٠] قال: (وقوله:
(وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) إخبار عن حالهم في الآخرة وتحقيق لخلودهم في النار.
وبعد أن حقق ذلك بتأكيد الخبر كله بحرف التوكيد، زيد تأكيداً بطريق
تأكيد الشيء بما يشبه ضده، المشتهر عند أهل البيان بتأكيد المدح بما يشبه
الذم، وذلك بقوله تعالى: (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) فقد جعل لانتفاء
دخولهم الجنة امتداداً مستمراً، إذ جعل غايته شيئاً مستحيلاً، وهو أن يلج الجمل
في سم الخياط، أي لو كانت لانتفاء دخولهم الجنة غاية لكانت غايته ولوج
الجمل -وهو البعير- في سم الخياط، وهو أمر لا يكون أبداً^(١).

(١). التحرير والتنوير ٨: ١٢٧.

١٥. قاعدة: (أسلوب الجارّ والمجرور أبلغ لأنه يُفيدُ المعنى بطريقةً تُشبهُ طريقةَ الاستدلال، فهو من قبيل الكناية التي هي إثبات الشيء بإثبات ملزومه، وهي أبلغ من التصريح)

(قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) [الأنعام: ٥٦]
قال ابن عاشور: (وقد أتى بالخبر بالجار والمجرور فقليل: من المهتدين ولم يقل: وما أنا مهتد، لأن المقصود نفي الجملة التي خبرها من المهتدين، فإن التعريف في المهتدين تعريف الجنس، فإخبار المتكلم عن نفسه بأنه من المهتدين يفيد أنه واحد من الفئة التي تعرف عند الناس بفئة المهتدين، فيفيد أنه مهتد إفادة بطريقة تشبه طريقة الاستدلال. فهو من قبيل الكناية التي هي إثبات الشيء بإثبات ملزومه. وهي أبلغ من التصريح.

قال في «الكشاف» في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) [الشعراء: ١٦٨]: قولك فلان من العلماء أبلغ من قولك: فلان عالم، لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم. وقال عند قوله تعالى: (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) في سورة الشعراء [١٣٦]. فإن قلت: لو قيل: أوعظت أو لم تعظ، كان أخصر، والمعنى واحد. قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشرته، فهو أبلغ في قلة الاعتداد بوعظه من قوله: أم لم تعظ. وقال الخفاجي إن أصل هذا لابن جني.

ولهذا كان نفي هذا الخبر مفيدا نفي هذه النسبة الكنائية فكانت أبلغيته في النفي كأبلغيته في الإثبات، لأن المفاد الكنائي هو هو. ولذلك فسره في «الكشاف» بقوله: «وما أنا من الهدى في شيء». ولم يتفطن لهذه النكتة بعض الناظرين نقله عنه الطيبي فقال: إنه لما كان قولك: هو من المهتدين، مفيدا في الإثبات أن للمخبر عنه حظوظا عظيمة في الهدى فهو في النفي يوجب أن

تنفى عنه الحظوظ الكثيرة، وذلك يصدق بأن يبقى له حظ قليل. وهذا سفسطة خفيت عن قائلها لأنه إنما تصح إفادة النفي ذلك لو كانت دلالة المثبت بواسطة القيود اللفظية، فأما وهي بطريق التكنية فهي ملازمة للفظ إثباتا ونفيا لأنها دلالة عقلية لا لفظية. ولذا قال التفتازاني: «هو من قبيل تأكيد النفي لا نفي التأكيد» فهو يفيد أنه قد انسلخ عن هذه الزمرة التي كان معدودا منها وهو أشد من مطلق الاتصاف بعدم الهدى لأن مفارقة المرء فتنه بعد أن كان منها أشد عليه من اتصافه بما يخالف صفاتهم قبل الاتصال بهم^(١).

وعند قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [الأنعام: ٦٣] قال (وقولهم: من الشاكرين أبلغ من أن يقال: لنكونن شاكرين)^(٢).

وعند قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) [الأعراف: ١١] قال: (لم يكن من الساجدين: في اختيار الإخبار عن نفي سجوده بجعله من غير الساجدين: إشارة إلى أنه انتفى عنه السجود انتفاء شديدا لأن قولك لم يكن فلان من المهتدين يفيد من النفي أشد مما يفيد قولك لم يكن مهتديا كما في قوله تعالى: (قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) في سورة الأنعام [٥٦]

(١). التحرير والتنوير ٧: ٢٦٣.

(٢). التحرير والتنوير ٧: ٢٨٢.

ففي الآية إشارة إلى أن الله تعالى خلق في نفس إبليس جبلة تدفعه إلى العصيان عند ما لا يوافق الأمر هواه، وجعل له هوى ورأيا، فكانت جبلة مخالفة لجبلة الملائكة^(١).

وعند قوله سبحانه: (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) [الأعراف: ١٣] قال: (وقوله: إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ أشد في إثبات الصغار له من نحو: إنك صاغر، أو قد صغرت، كما تقدم في قوله تعالى: (قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) في سورة الأنعام [٥٦]، وقوله آنفا: لم يكن من الساجدين)^(٢).

وعند قوله سبحانه: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِكُمْ بَرِّحٌ طَيِّبٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [يونس: ٢٢] قال: (والإشارة ب هذه إلى حالة حاضرة لهم، وهي حالة إشرافهم على الغرق، فالمشار إليه هو الحالة المشاهدة لهم.

وقد أكد وعدهم بالشكر بثلاث مؤكدات: لام توطئة القسم، ونون التوكيد، والتعبير بصيغة من الشاكرين دون لنكونن شاكرين، لما يفيد من كونهم من هذه الزمرة التي ديدنها الشكر، كما تقدم بيان خصوصية مثل هذا التركيب عند قوله تعالى: (قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) في سورة الأنعام [٥٦]^(٣).

(١). التحرير والتنوير ٨: ٣٩.

(٢). التحرير والتنوير ٨: ٤٥.

(٣). التحرير والتنوير ١١: ١٣٨.

المبحث الثاني: قواعد في أدوات التوكيد

١٦. قاعدة: ((إِنَّ) معناها التوكيد، وهي آلة من آلات القسم، وإنما نصبت ورفعت لأنها تُشَبَّهُ بالفعل، وشبهها به أنها لا تَلِي الأفعال ولا تعملُ فيها)

هذه القاعدة مستفادة من الزجاج، فعند قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة: ٦] قال: ((إِنَّ) تنصب الذين، وهي تنصب الأسماء وترفع الأخبار، ومعناها في الكلام التوكيد، وهي آلة من آلات القسم، وإنما نصبت ورفعت لأنها تشبه بالفعل، وشبهها به أنها لا تلي الأفعال ولا تعمل فيها، وإنما يذكر بعدها الاسم والخبر كما يذكر بعد الفعل الفاعل والمفعول، إلا أنه قُدم المفعولُ به فيها ليفصل بين ما يشبه بالفعل ولفظه لفظُ الفعل، وبين ما يُشَبَّه به وليس لفظه لفظُ الفعل، وخبرها ههنا جملة الكلام، أعني قوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ) ^(١).

وعند قوله تعالى: (مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة: ٣٢] قال ابن عاشور: (وقد اتفق علماء العربية على كون (أَنْ) المفتوحة الهمزة المشددة النون اختاً لحرف (إِنْ) المكسورة الهمزة، وأنها تفيد التأكيد مثل أختها).

واتفقوا على كون (أَنْ) المفتوحة الهمزة من الموصولات الحرفية الخمسة التي يُسَبِّكُ مدخولها بمصدر. وبهذا تزيد (أَنْ) المفتوحة على (إِنْ) المكسورة.

(١). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١: ٧٧.

وخبر (أن) في هذه الآية جملة من قتل نفسا بغير نفس إلخ. وهي مع ذلك مفسرة لضمير الشأن. ومفعول كتبنا مأخوذ من جملة الشرط وجوابه، وتقديره: كتبنا مشابحة قتل نفس بغير نفس إلخ بقتل الناس أجمعين في عظيم الجرم. وعلى هذا الوجه جرى كلام المفسرين والنحويين.

ووقع في «لسان العرب» عن الفراء ما حاصله: إذا جاءت (أن) بعد القول وما تصرف منه وكانت تفسيراً للقول ولم تكن حكاية له نصبتها (أي فتحت همزتها)، مثل قولك: قد قلت لك كلاماً حسناً أن أباك شريف، تفتح (أن) لأنها فسرت «كلاماً»، وهو منصوب، (أي مفعول لفعل قلت) فمفسره منصوب أيضاً على المفعولية لأن البيان له إعراب المبين. فالفراء يثبت لحرف (أن) معنى التفسير علاوة على ما يثبته له جميع النحويين من معنى المصدرية، فصار حرف (أن) بالجمع بين القولين دالاً على معنى التأكيد باطراد ودالاً معه على معنى المصدرية تارة وعلى معنى التفسير تارة أخرى بحسب اختلاف المقام.

ولعل الفراء ينحو إلى أن حرف (أن) المفتوحة الهمزة مركب من حرفين هما حرف (إن) المكسورة الهمزة المشددة النون، وحرف (أن) المفتوحة الهمزة الساكنة النون التي تكون تارة مصدرية وتارة تفسيرية ففتح همزته لاعتبار تركيبه من (أن) المفتوحة الهمزة الساكنة النون مصدرية أو تفسيرية، وتشديد نونه لاعتبار تركيبه من (إن) المكسورة الهمزة المشددة النون، وأصله و (أن إن) فلما ركبا تداخلتا حروفهما، كما قال بعض النحويين: إن أصل (لن) (لا أن))^(١).

(١). التحرير والتنوير ٦: ١٧٦.

١٧. قاعدة: ((أَنَّ) المفتوحة الهمزة المشددة النون إذا وقعت بعد ما فيه معنى القول دون حروفه تكون مفيدة للتفسير مع التأكيد كما كانت تُفيد معنى المصدرية مع التأكيد)

هذه القاعدة مستفادة من ابن عاشور، فعند قوله سبحانه: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّكُمْ بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال: ٩] قال: (وقوله: أني ممدكم بألف من الملائكة هو الكلام المستجاب به ولذلك قدره في «الكشاف» بأن أصله بأني ممدكم أي فحذف الجار وسلط عليه فاستجاب فنصب محله.

وأرى أن حرف (أن) المفتوحة الهمزة المشددة النون إذا وقعت بعد (ما) فيه معنى القول دون حروفه أن تكون مفيدة للتفسير مع التأكيد كما كانت تفيد معنى المصدرية مع التأكيد، فمن البين أن (أن) المفتوحة الهمزة مركبة من (أن) المفتوحة الهمزة المخففة النون المصدرية في الغالب، يجوز أن يعتبر تركيبها من (أن) التفسيرية إذا وقعت بعد (ما) فيه معنى القول دون حروفه، وذلك مظنة (أن) التفسيرية، وأعتضد بما في «اللسان» من قول الفراء: «إذا جاءت (أن) بعد القول وما تصرف من القول كانت حكاية، فلم يقع عليها (أي القول) فهي مكسورة، وإن كانت تفسيراً للقول نصبتها ومثله: قد قلت لك كلاماً حسناً أن أباك شريف، فحت أن لأنها فسرت الكلام. قلت: ووقع (أن) موقع التفسير كثير: في الكلام. وفي القرآن، ومنه قوله تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) [المائدة: ٤٥] الآية، ومن تأمل بإنصاف وجد متانة معنى قوله: أني ممدكم بألف من الملائكة في كون (أن) تفسيرية، دون كونها مجرورة بحرف جر محذوف. مع أن معنى ذلك الحرف غير بين) ^(١).

(١). التحرير والتنوير ٩: ٢٧٥.

١٨. قاعدة: (حرف التوكيد يُغني غناء فاء التفریع ويُفیدُ التعلیل والربط)

هذه القاعدة مستفادة من ابن عاشور، فعند قوله سبحانه: (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [الأحزاب: ٢] قال: (هذا تمهيد لما يرد من الوحي في شأن أحكام التبني وما يتصل بها، ولذلك جيء بالفعل المضارع الصالح للاستقبال، وجرد من علامة الاستقبال لأنه قريب من زمن الحال. والمقصود من الأمر باتباعه أنه أمر باتباع خاص تأكيد للأمر العام باتباع الوحي).

وفيه إيذان بأن ما سيوحى إليه قريباً هو مما يشق عليه وعلى المسلمين من إبطال حكم التبني لأنهم ألفوه واستقر في عوائدهم وعاملوا المتبنين معاملة الأبناء الحق.

ولذلك ذيلت جملة واتبع ما يوحى إليك بجملة إن الله كان بما تعملون خبيراً تعليلاً للأمر بالاتباع وتأنيساً به لأن الله خبير بما في عوائدكم ونفوسكم فإذا أبطل شيئاً من ذلك فإن إبطاله من تعلق العلم بلزوم تغييره فلا تترثوا في امتثال أمره في ذلك.

فجملة إن الله كان بما تعملون خبيراً في موقع العلة فلذلك فصلت لأن حرف التوكيد مغن غناء فاء التفریع كما مر آنفاً^(١).

وعند قوله سبحانه: (فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الروم: ٥٠] قال: (وجملة (إِنَّ

(١). التحرير والتنوير ٢١: ٢٥٢.

ذَلِكَ لَمْحِي الْمَوْتَى) استئناف وهو إدماج أدمج دليل البعث عقب الاعتبار بإحياء الأرض بعد موتها. وحرف التوكيد يفيد مع تقرير الخبر زيادة معنى فاء التسبب كقول بشار:

بكرا صاحبي قبل الهجير ... إن ذاك النجاح في التبكير
إذ التقدير: فالنجاح في التبكير، كما تقرر غير مرة^(١).

وعند قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٩٦] قال: (وقد آذن بكون الكلام تعليلا موقع (إن) في
أوله فإن التأكيد بأن هنا لمجرد الاهتمام وليس لرد إنكار منكر، أو شك شك.
ومن خصائص (إن) إذا وردت في الكلام لمجرد الاهتمام، أن تغني غناء فاء
التفريع وتفيد التعليل والربط، كما في دلائل الإعجاز.

ولما في هذه من إفادة الربط استغني عن العطف لكون (إن) مؤذنة بالربط.
وبيان وجه التعليل أن هذا البيت لما كان أول بيت وضع للهدى وإعلان توحيد
الله ليكون علماً مشهوداً بالحس على معنى الوجدانية ونفي الإشراك، فقد كان
جامعاً لدلائل الحنيفية، فإذا ثبت له شرف الأولوية ودوام الحرمة على ممر العصور،
دون غيره من الهياكل الدينية التي نشأت بعده، وهو مائل، كان ذلك دلالة إلهية
على أنه بمحل العناية من الله تعالى، فدل على أن الدين الذي قارن إقامته هو
الدين المراد لله، وهذا يقول إلى معنى قوله: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [آل
عمران: ١٩] ^(٢).

وعند قوله سبحانه: (وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا
إِلَيْكَ) [الأعراف: ١٥٦] قال: (وجملة: (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) مسوقة مساق التعليل

(١). التحرير والتنوير ٢١: ١٢٣.

(٢). التحرير والتنوير ٤: ١١.

للطلب والاستجابة، ولذلك فصلت، ولأن موقع حرف التأكيد في أولها موقع الاهتمام، فيفيد التعليل والربط، ويغني غناء فاء السببية^(١).

وعند قوله سبحانه: (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنفال: ٦٩] قال: (وجملة: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) تعليل للأمر بالتقوى، وتنبيه على أن التقوى شكر على النعمة، فحرف التأكيد للاهتمام، وهو مغن غناء فاء التفريع)^(٢).

وعند قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) [الحج: ١٨] قال: (وجملة (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) في محل العلة للجملتين المعترضتين؛ لأن وجود حرف التوكيد في أول الجملة مع عدم المنكر يحض حرف التوكيد إلى إفادة الاهتمام، فنشأ من ذلك معنى السببية والتعليل، فتغني (إن) غناء حرف التعليل أو السببية)^(٣).

(١). التحرير والتنوير ٩: ١٢٨.

(٢). التحرير والتنوير ١٠: ٧٩.

(٣). التحرير والتنوير ١٧: ٢٢٧.

١٩. قاعدة: ((من) في الأصل ابتدائية ثم عوملت مُعاملة حرف

(التأكيد)

هذه القاعدة مستفادة من ابن عاشور، فعند قوله تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ) [البقرة: ١٣٣] قال: (واقترن ظرف (بعدي) بحرف (من) لقصد التوكيد فإن (من) هذه في الأصل ابتدائية فقولك: جئت من بعد الزوال، يفيد أنك جئت في أول الأزمنة بعد الزوال، ثم عوملت معاملة حرف تأكيد) (١).

وعند قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ٢١] قال: (وقوله: (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) يفيد تذكير الدهريين من المخاطبين الذين يزعمون أنهم إنما خلقهم آبائهم فقالوا (نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) [الجاثية: ٢٤] فكان قوله: (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) تذكيراً لهم بأن آباءهم الأولين لا بد أن ينتهوا إلى أب أول فهو مخلوق لله تعالى.

ولعل هذا هو وجه التأكيد بزيادة حرف (من) في قوله: من قبلكم الذي يمكن الاستغناء عنه بالاختصار على قبلكم، لأن (من) في الأصل للابتداء فهي تشير إلى أول الموصوفين بالقبلية فذكرها هنا استرواح لأصل معناها مع معنى التأكيد الغالب عليها إذا وقعت مع قبل وبعد) (٢).

(١). التحرير والتنوير ١: ٧٣٢.

(٢). التحرير والتنوير ١: ٣٢٧.

٢٠. قاعدة: (قَدْ تَدْخُلُ (مِنْ) لِنَفِيْدِ التَّوْكِيْدِ)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الطبري والزجاج فعند قوله سبحانه: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) [الزمر: ٧٥] قال الطبري: (واختلف أهل العربية في وجه دخول (مِنْ) في قوله: (حَاقِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) والمعنى: حَاقِّينَ حول العرش).

وفي قوله: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥] فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت "مِنْ" في هذين الموضعين توكيذاً، والله أعلم، كقولك: ما جاءني من أحد، وقال غيره: قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيها "مِنْ" وتخرج، نحو: أتيتك قبل زيد، ومن قبل زيد، وطفنا حولك ومن حولك، وليس ذلك من نوع: ما جاءني من أحد، لأن موضع "مِنْ" في قولهم: ما جاءني من أحد رفع، وهو اسم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن "مِنْ" في هذه الأماكن، أعني في قوله (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) ومن قبلك، وما أشبه ذلك، وإن كانت دخلت على الظروف فإنها بمعنى التوكيد^(١).

وعند قوله عز وجل: (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ) [البقرة: ١٠٥] قال الزجاج: (وموضع (مِنْ) خير) رفع. المعنى: ما يود الذين كفروا والمشركون أن ينزل عليكم خير من ربكم، ولو كان هذا في الكلام لجاز ولا المشركون، ولكن المصحف لا يخالف، والأجود ما ثبت في المصحف أيضاً، ودخول (مِنْ) ههنا على جهة التوكيد والزيادة كما في "ما جاءني من أحد"، وما جاءني أحد^(٢).

(١). تفسير الطبري ٢١: ٣٤٣.

(٢). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١: ١٨٩.

وعند قوله عز وجل: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠] قال ابن عاشور: (وقد خالفت هذه الآية عند معظم القراء أخواتها فلم تذكر فيها (من) مع (تحتها) في غالب المصاحف وفي رواية جمهور القراء، فتكون خالية من التأكيد إذ ليس لحرف (من) معنى مع أسماء الظروف إلا التأكيد، ويكون خلو الجملة من التأكيد لحصول ما يغني عنه من إفادة التقوي بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، ومن فعل (أعد) المؤذن بكمال العناية فلا يكون المعد إلا أكمل نوعه) (١).

٢١. قاعدة: (لام الجر لا تقع في الأفعال، وتقع لام التوكيد في الأفعال)

هذه القاعدة مستفادة من الزجاج فقد قال: (وأما لام كي في قولك: جئت لتقوم يا هذا، فهي لام الإضافة التي في قولك "المال لزيد"، وإنما نُصبت تقوم بإضمار "أن" أو "كي" التي في معنى "أن"، فالمعنى: جئت لقيامك. وما قلناه في اشتقاق "اسم" قول لا نعلم أحداً فسره قبلنا. وأما قولك: ليضرب زيد عمراً، فإنما كسرت اللام ليفرق بينها وبين لام التوكيد، ولا يبالى بشبهها بلام الجر لأنَّ لام الجر لا تقع في الأفعال، وتقع لام التوكيد في الأفعال، ألا ترى أنك لو قلت: لتضرب وأنت تأمر لأشبه لام التوكيد إذا قلت: إنك لتضرب) (٢).

(١). التحرير والتنوير ١١: ١٩.

(٢). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١: ٤٢.

٢٢. قاعدة: ((مَا) فِي التَّوَكِيدِ بِمَنْزِلَةِ حَقٍّ، إِلَّا أَنَّهُ لَا إِعْرَابَ لَهَا، وَالْخَافِضُ وَالنَّاصِبُ يَتَخَطَّاهَا إِلَى مَا بَعْدَهَا، وَمِثْلُهَا فِي التَّوَكِيدِ (لَا))

هذه القاعدة مستفادة من الزجاج، فعند قوله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) [البقرة: ٢٦] قال: (وما زائدة مؤكدة نحو قوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) المعنى فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ حَقًّا، فَمَا فِي التَّوَكِيدِ بِمَنْزِلَةِ حَقٍّ إِلَّا أَنَّهُ لَا إِعْرَابَ لَهَا، وَالْخَافِضُ وَالنَّاصِبُ يَتَخَطَّاهَا إِلَى مَا بَعْدَهَا، فَمَعْنَاهَا التَّوَكِيدُ، وَمِثْلُهَا فِي التَّوَكِيدِ (لَا) فِي قَوْلِهِ: (لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ) معناه لَأَنْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (مَا) نَكْرَةً فَيَكُونُ الْمَعْنَى: " إِنْ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ شَيْئًا مَثَلًا " وَكَأَنَّ بَعُوضَةً فِي مَوْضِعٍ وَصَفَ شَيْءًا، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ، بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا.

وقال بعض النحويين: يجوز أن يكون معناه ما بين بعوضة إلى ما فوقها، والقولان الأولان قول النحويين القدماء.

والاختيار عند البصريين أن يكون ما لغوا، والرفع في بعوضة جائز في الإعراب، ولا أحفظ من قرأ به (ولا أعلم) هل قرأ به أحد أم لا، فالرفع على إضمار هُوَ كأنه قال مَثَلًا (لذي هو بعوضة وهذا عند سيبويه ضعيف)، وعنه مندوحة^(١).

وعند قوله تعالى: (قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ) [المؤمنون: ٤٠] قال: (معناه عَنْ قَلِيلٍ، وَ(مَا) زائدة بمعنى التوكيد، كَأَنَّ مَعْنَاهُ: عَنْ قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ حَقًّا)^(٢).

(١). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١: ١٠٣.

(٢). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤: ١٣.

وعند قوله سبحانه: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [النساء: ٦٥] قال ابن عاشور: (وأصل الكلام: فو ربك لا يؤمنون، والعرب تأتي بحرف النفي قبل القسم إذا كان جواب القسم منفياً للتعجيل بإفادة أن ما بعد حرف العطف قسم على النفي لما تضمنته الجملة المعطوف عليها، فتقديم النفي للاهتمام بالنفي، كقول قيس بن عاصم:

فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا صَحِيحاً ... وَلَا أَشْفَى بِهَا أَبَداً سَقِيماً

ويكثر أن يأتي مع حرف النفي بعد العاطف بحرف نفي مثله في الجواب ليحصل مع الاهتمام التأكيد، كما في هذه الآية، وهو الاستعمال الأكثر، ولم أر في كلام العرب تقديم (لا) على حرف العطف إبطالا للكلام السابق، ووقع في قول أبي تمام:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَلَّا النَّوَى ... صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

وليست (لا) هذه هي التي ترد مع فعل القسم مزيدة والكلام معها على الإثبات، نحو (لَا أَقْسِمُ) [القيامة: ١]، وفي غير القسم نحو (لَقَدْ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ) [الحديد: ٢٩]، لأن تلك ليس الكلام معها على النفي، وهذه الكلام معها نفي، فهي تأكيد له على ما اختاره أكثر المحققين خلافاً لصاحب «الكشاف»، ولا يلزم أن تكون مواقع الحرف الواحد متحدة في المواقع المتقاربة) (١).

(١). التحرير والتنوير ٥: ١١٠.

٢٣. قاعدة: (إذا دخلت اللام على (إن) المخففة أفادت التوكيد)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الزجاج والنحاس وأبو حيان وابن عاشور، فعند قوله سبحانه: (وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) [البقرة: ١٤٣] قال الزجاج: (يعني قبلة بيت المقدس، أي وإن كان اتباعها لكبيرة. المعنى إنه كبير على غير المخلصين، فأما من أخلص فليست بكبيرة عليه، كما قال: (إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) أي فليست بكبيرة عليهم.

وهذه اللام دخلت على "إن" لأن اللام إذا لم تدخل مع إن الخفيفة كان الكلام جُحداً فلولا "اللام" كان المعنى "ما كانت كبيرة" فإذا جاءت إن واللام فمعناه التوكيد للقصة، واللام تدخل في الخبر^(١).

وعند قوله تعالى: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) [الأعراف: ١٠٢] قال: (هذه (إن) تدخل واللام على معنى التوكيد واليمين. وتدخل على الأخبار، تقول: إن ظننت زيدا لقائماً)^(٢).

وعند قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ) [الحجر: ٧٨] قال: (ومعنى (إن واللام) التوكيد)^(٣).

وعند قوله سبحانه: (وَإِنْ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُنَا بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) [القلم: ٥١] قال النحاس: (الكوفيون يقولون: إن بمعنى «ما» واللام بمعنى إلا، والبصريون يقولون: هي إن المشددة لما خففت وقع بعدها الفعل ولزمته لام التوكيد ليفرق بين النفي والإيجاب)^(٤).

(١). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١: ٢٢٠.

(٢). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢: ٣٦٢.

(٣). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣: ١٨٥.

(٤). إعراب القرآن للنحاس ٥: ١٢.

وعند قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) [البقرة: ٧٤] قال أبو حيان: (واللام في لما مختلف فيها، فمنهم من ذهب إلى أنها لام الابتداء لزمّت للفرق بين إن المؤكدة وإن النافية، وهو مذهب أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير. وأكثر نحاة بغداد، وبه قال: من نحاة بلادنا أبو الحسن بن الأخضر، ومنهم من ذهب إلى أنها لام اختلست للفرق، وليست لام الابتداء، وبه قال أبو علي الفارسي. ومن كبراء بلادنا ابن أبي العالية، والكلام على ذلك مذكور في علم النحو.

ولم يذكر المفسرون والمعربون في إن المخففة هنا إلا هذا الوجه الثاني، وهو أنها الملغاة، وأن اللام في لما لزمّت للفرق. قال المهدوي: من خفف إن، فهي المخففة من الثقيلة، واللام لازمة للفرق بينها وبين إن التي بمعنى ما. وقال ابن عطية: فرق بينها وبين النافية لام التوكيد في لما.

وقال الزمخشري: وقرئ: وإن بالتخفيف، وهي إن المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة، ومنه قوله تعالى: (وإن كل لما جميع)، وجعلهم إن هي المخففة من الثقيلة، هو مذهب البصريين. وأما الفراء فزعم فيما ورد من ذلك أن إن هي النافية، واللام بمعنى إلا، فإذا قلت: إن زيد لقائم، فمعناه عنده: ما زيد إلا قائم.

وأما الكسائي فزعم أنها إن وليها فعل، كانت إن نافية، واللام بمعنى إلا، وإن وليها اسم، كانت المخففة من الثقيلة. وذهب قطرب إلى أنها إذا وليها فعل، كانت بمعنى قد، والكلام على هذا المذهب في كتب النحو.

وقرأ الجمهور: لما بميم مخففة وهي موصولة. وقرأ طلحة بن مصرف: لما بالتشديد، قاله في الموضعين، ولعله سقطت واو، أي وفي الموضعين. قال محمد بن عطية: وهي قراءة غير متجهة، وما قاله ابن عطية من أنها غير متجهة لا

يتمشى إلا إذا نقل عنه أنه يقرأ وإن بالتشديد، فحينئذ يعسر توجيه هذه القراءة.

أما إذا قرأ بتخفيف إن، وهو المظنون به ذلك، فيظهر توجيهها بعض ظهور، إذ تكون إن نافية، وتكون لما بمنزلة إلا، كقوله تعالى: (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) [الطارق: ٤]، (وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) [يس: ٣٢]، (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الزخرف: ٣٥]، في قراءة من قرأ لما بالتشديد ويكون مما حذف منه المبتدأ لدلالة المعنى عليه، التقدير: وما من الحجارة حجر إلا يتفجر منه الأنهار^(١).

وعند قوله تعالى: (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) [الشعراء: ١٨٥-١٨٦] قال ابن عاشور: (وأطلق الظن على اليقين في وإن نظنك لمن الكاذبين وهو إطلاق شائع كقوله: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ) [البقرة: ٤٦]، وقرينته هنا دخول اللام على المفعول الثاني ل (ظن) لأن أصلها لام قسم.

وإن مخففة من الثقيلة، واللام في لمن الكاذبين اللام الفارقة، وحقها أن تدخل على ما أصله الخبر فيقال هنا مثلاً: وإن أنت لمن الكاذبين، لكن العرب توسعوا في المخففة فكثيراً ما يدخلونها على الفعل الناسخ لشدة اختصاصه بالمبتدأ والخبر فيجتمع في الجملة حينئذ ناسخان مثل قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً) [البقرة: ١٤٣] وكان أصل التركيب في مثله: ونظن أنك لمن الكاذبين، فوقع تقديم وتأخير لأجل تصدير حرف التوكيد لأن (إن) وأخواتها لها صدر الكلام ما عدا (أن) المفتوحة. وأحسب أنهم ما يخففون (إن) إلا عند إرادة الجمع بينها وبين فعل من النواسخ على طريقة التنازع، فالذي يقول: إن أظنك

(١). البحر المحيط ١: ٤٢٦.

لخائفاً، أراد أن يقول: أظن أنك لخائف، فقدم (إن) وخففها وصير خبرها مفعولاً لفعل الظن، فصار: إن أظنك لخائفاً، والكوفيون يجعلون إن في مثل هذا الموقع حرف نفي ويجعلون اللام بمعنى (إلا) ^(١).

٢٤. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ الْبَاءُ مَعْنَى التَّوَكِيدِ)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الزجاج وابن عاشور، فعند قوله عز وجل: (وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا) [النساء: ٤٥] قال الزجاج: (أي الله ناصرهم عليهم. ومعنى الباء التوكيد. المعنى وكفى الله ولياً وكفى الله نصيراً، إلا أن الباء دخلت في اسم الفاعل، لأن معنى الكلام الأمر، المعنى اكتفوا بالله) ^(٢).

وقال ابن عاشور: (إذا رأى تفسير قوله تعالى: (وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) [المائدة: ٦] وتردد عنده احتمال أن الباء فيه للتأكيد أو أنها للتبعيض أو للآلة وكانت نفسه غير مطمئنة لاحتمال التأكيد، إذ كان مدخول الباء مفعولاً، فإذا استشهد له على ذلك بقول النابغة:

لَكَ الْخَيْرُ إِنْ وَارَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَاحِدًا ... وَأَصْبَحَ جَدُّ النَّاسِ يَظْلَعُ عَاثِرًا
وقول الأعشى:

فَكُنَّا مُغْرَمٌ يَهْوَى بِصَاحِبِهِ ... قَاصٍ وَدَانٍ وَحُبُولٍ وَحُبَلٍ

(١). التحرير والتنوير ١٩: ١٨٦..

(٢). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢: ٥٧.

رجح عنده احتمال التأكيد، وظهر له أن دخول الباء على المفعول للتأكيد طريقة مسلوكة في الاستعمال^(١).

وعند قوله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) [الفرقان: ٥٨] قال: (والكفاية: الإجزاء، وفي فعل كفى إفادة أنه لا يحتاج إلى غيره وهو مستعمل في الأمر بالاكْتفاء بتفويض الأمر إليه. والباء لتأكيد إسناد الفعل إلى الفاعل. وقد كثر دخول باء التأكيد بعد فعل الكفاية على فاعله أو مفعوله، وتقدم في قوله تعالى: (كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) في سورة الإسراء [١٤]. وخبراً حال من ضمير به أي كفى به من حيث الخبرة)^(٢).

٢٥. قاعدة: (قد تُفيد اللام معنى التوكيد)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الزجاج والزمخشري والقرطبي، فعند قوله عز وجل: (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) [الشعراء: ٤٩] قال الزجاج: (اللام دخلت على سوف بمعنى التوكيد، ولم يُجزِ الكوفيون: إن زيد لسوف يقوم، وقد جاء دخول اللام على سوف، وذلك أن اللام مؤكدة)^(٣).

وعند قوله عز وجل: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى: ٥] قال الزمخشري: (فإن قلت: ما هذه اللام الداخلة على سوف؟ قلت: هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف. تقديره: ولأنت سوف

(١). التحرير والتنوير ١: ٢٢.

(٢). التحرير والتنوير ١٩: ٦٠.

(٣). معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤: ٩١.

يعطيك، كما ذكرنا في: (لا أقسم)، أن المعنى: لأننا أقسم، وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء، فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد، فبقي أن تكون لام ابتداء، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر، فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر، وأن يكون أصله: ولأنت سوف يعطيك.

فإن قلت: ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير؟ قلت: معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر، لما في التأخير من المصلحة^(١).

وعند قوله تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: ٦٩] قال القرطبي: (لام تأكيد ودخلت في "مع" على أحد وجهين: أن يكون اسماً ولام التوكيد إنما تدخل على الأسماء، أو حرفاً فتدخل عليها، لأن فيها معنى الاستقرار، كما تقول إن زيدا لفي الدار. و"مع" إذا سكنت فهي حرف لا غير. وإذا فتحت جاز أن تكون اسماً وأن تكون حرفاً. والأكثر أن تكون حرفاً جاء لمعنى^(٢)).

٢٦. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ) (قَدْ مَعْنَى التَّوَكِيدِ)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الزمخشري والزرکشي وابن عاشور، فعند قوله سبحانه: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) [الصف: ٥] قال الزمخشري: (فإن قلت: ما معنى (قَدْ) في قوله: (وَقَدْ تَعْلَمُونَ)؟ قلت: معناه التوكيد كأنه قال: وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه)^(٣).

(١). الكشف ٤: ٧٦٧.

(٢). تفسير القرطبي ١٣: ٣٦٥.

(٣). الكشف ٤: ٥٢٤.

وعند قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) [المؤمنون: ١] قال ابن عاشور: (وأكد هذا الخبر بحرف (قد) الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي التوكيد، فحرف (قد) في الجملة الفعلية يفيد مفاد (إن واللام) في الجملة الاسمية، أي يفيد توكيداً قوياً)^(١).

وقال الزركشي: (وأما مؤكدات الفعلية فأنواع: أحدها: "قد" فإنها حرف تحقيق وهو معنى التأكيد وإليه أشار الزمخشري في قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [آل عمران: ١٠١] معناه: حصل له الهدى لا محالة.

وحكى الجوهري عن الخليل أنه لا يؤتى بها في شيء إلا إذا كان السامع متشوقاً إلى سماعه كقولك لمن يتشوق سماع قدوم زيد قد قدم زيد فإن لم يكن لم يحسن المجيء بها بل تقول: قام زيد.

وقال بعض النحاة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) [الإسراء: ٨٩]، وفي قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ) [البقرة: ٦٥] قد في الجملة الفعلية المجاب بها القسم مثل إن واللام في الاسمية المجاب بها في إفادة التأكيد.

وتدخل على الماضي نحو: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) [الشمس: ٥]، والمضارع نحو: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ) [الأنعام: ٣٣]، (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) [النور: ٦٤]، قال الزمخشري: دخلت قد لتوكيد العلم ويرجع ذلك لتوكيد الوعيد وبهذا يجاب عن قولهم: إنما تفيد التعليل مع المضارع.

(١). التحرير والتنوير ١٨ : ٨.

وقال ابن أبان: تفيد مع المستقبل التعليل في وقوعه أو متعلقه فالأولى كقولك: زيد قد يفعل كذا وليس ذلك منه بالكثير والثاني كقوله تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) المعنى والله أعلم: أقل معلوماته ما أنتم عليه^(١).

٢٧. قاعدة: (مِنْ مُؤَكَّدَاتِ الْفِعْلِ (السين) التي للتنفيس)

ذكر الزركشي من مؤكّدات الفعل (السين التي للتنفيس قال سيبويه في قوله تعالى: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) [البقرة: ١٣٧] معنى السين: أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين.

وجرى عليه الزمخشري فقال في قوله تعالى: (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) [التوبة: ٧١] السين تفيد وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك: "سأنتقم منك يوما" يعني: أنك لا تفوتني وإن تبطأت ونحوه: (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) [مريم: ٩٦]، (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى: ٥]، (سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم) [النساء: ١٥٢]، لكن قال: في قوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)، معنى الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر.

وقد اعترض عليه بأن وجود الرحمة مستفاد من الفعل "لا" من السين وبأن الوجوب المشار إليه بقوله لا محالة لا إشعار للسين به. وأجيب بوجهين:

(١). البرهان في علوم القرآن ٢: ٤١٧.

أحدهما: أن السين موضوعة للدلالة على الوقوع مع التأخر فإذا كان المقام ليس مقام تأخير لكونه بشارة تمحضت لإفادة الوقوع وتحقيق الوقوع يصل إلى درجة الوجوب وفيه نظر لأن ذلك يستفاد من المقام لا من السين.

والثاني: أن السين يحصل بها ترتيب الفائدة لأنها تفيد أمرين الوعيد والإخبار بطرقه وأنه متراح فهو كالإخبار بالشيء مرتين ولا شك أن الإخبار بالشيء وتعيين طريقه مؤذن بتحقيقه عند المخبر به (١).

٢٨. قاعدة: (مِنْ مُؤَكَّدَاتِ الْفِعْلِ النُّونُ الشَّدِيدَةُ وَالْخَفِيفَةُ)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء، منهم الزركشي وابن عاشور، فقد ذكر الزركشي من مؤكّدات الفعل (النون الشديدة وهي بمنزلة ذكر الفعل ثلاث مرات وبالخفيفة فهي بمنزلة ذكره مرتين).

قيل: وهذان النونان لتأكيد الفعل في مقابلة تأكيد الاسم بأن واللام ولم يقع في القرآن التأكيد بالخفيفة إلا في موضعين: (وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ) [يوسف: ٣٢]، وقوله تعالى: (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) [العلق: ١٥]، ولما لم يتجاوز الثلاثة في تأكيد الأسماء فكذلك لم يتجاوزها في تأكيد الأفعال قال تعالى: (فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا) [الطارق: ١٧]، لم يزد على ثلاثة مهل وأمهل ورويذا كلها بمعنى واحد وهن فعلاان واسم فعل (٢).

وعند قوله سبحانه: (لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ

(١). البرهان في علوم القرآن ٢: ٤١٨.

(٢). البرهان في علوم القرآن ٢: ٤١٩.

عَزَمَ الْأُمُورِ) [آل عمران: ١٨٦] قال ابن عاشور: (وأكد الفعل بلام القسم وبنون التوكيد الشديدة لإفادة تحقيق الابتلاء، إذ نون التوكيد الشديدة أقوى في الدلالة على التوكيد من الخفيفة.

فأصل لتبلون لتبلوون فلما توالى ثلاث نونات ثقل في النطق فحذفت نون الرفع فالتقى ساكنان: واو الرفع ونون التوكيد الشديدة، فحذفت واو الرفع لأنها ليست أصلاً في الكلمة فصار لتبلون. وكذلك القول في تصريف قوله تعالى: (وَلَتَسْمَعُنَّ) وفي توكيده (١).

وعند قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) [آل عمران: ١٨٧] قال: (والقول في تصريف وإعراب لتبينه كالقول في لتبلون المتقدم قريباً.

فقوله: (وَلَا تَكْتُمُونَهُ) عطف على (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ)، ولم يقرن بنون التوكيد لأنها لا تقارن الفعل المنفي لتنافي مقتضاهما (٢).

وعند قوله سبحانه: (لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) [المائدة: ٩٤] قال: (خاطب الله المؤمنين بتوبيخهم إلى حالة قد يسبق فيها حرصهم، حذرهم وشهوتهم تقواهم. وهي حالة ابتلاء وتمحيص، يظهر بها في الوجود اختلاف تمسكهم بوصايا الله تعالى، وهي حالة لم تقع وقت نزول هذه الآية، لأن قوله (لَيَبْلُوَنَّكُمْ) ظاهر في الاستقبال؛ لأن نون التوكيد لا تدخل على المضارع في جواب القسم إلا وهو بمعنى المستقبل (٣).

(١). التحرير والتنوير ٤: ١٨٩.

(٢). التحرير والتنوير ٤: ١٩١.

(٣). التحرير والتنوير ٧: ٣٧.

وعند قوله سبحانه: (قَالَ نَمِّلْ يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [النمل: ١٨] قال: (وَلَا يَحْطِمَنَّكُمْ: إن جعلت لا فيه ناهية كانت الجملة مستأنفة تكريراً للتحذير ودلالة على الفزع؛ لأن المحذر من شيء مفزع يأتي بجمل متعددة للتحذير من فرط المخافة، والنهي عن حطم سليمان إياهن كناية عن نهيهن عن التسبب فيه وإهمال الحذر منه كما يقال: لا أعرفك تفعل كذا، أي لا تفعله فأعرفك بفعله، والنون تأكيد للنهي. وإن جعلت لا نافية كانت الجملة واقعةً في جواب الأمر فكان لها حكم جواب شرط مقدر. فالتقدير: إن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان، أي ينتف حطم سليمان إياكن، وإلا حطمكم.

وهذا مما جوزه في «الكشاف». وفي هذا الوجه كون الفعل مؤكداً بالنون وهو منفي ب لا وذلك جائز على رأي المحققين إلا أنه قليل. وأما من منعه من النحاة فيمنع أن تجعل لا نافية هنا. وصاحب «الكشاف» جعله من اقتران جواب الشرط بنون التوكيد لأن جواب الأمر في الحكم جواب الشرط وهو عنده أخف من دخولها في الفعل المنفي بناء على أن النفي يضاد التوكيد^(١).

وعند قوله تعالى: (وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) [العنكبوت: ١١] قال: (ووجه تأكيد كلا الفعلين بلام القسم ونون التوكيد أن المقصود من هذا الخبر رد اعتقاد المنافقين أن الله لا يطلع رسوله على ما في نفوسهم، فالمقصود من الخبرين هو ثانيهما أعني قوله: (وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ). وأما قوله: (وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) فهو تمهيد لما بعده وتنصيب على عدم التباس الإيمان المكذوب بالإيمان الحق.

(١). التحرير والتنوير ١٩: ٢٤٢.

وفي هذا أيضاً إرادة المعنى الكنائي من العلم وهو مجازاة كل فريق على حسب ما علم الله من حاله. وجيء في جانب هاذين بالفعل المضارع المستقبل إذ نون التوكيد لا يؤكد بها الخبر المثبت إلا وهو مستقبل، إما لأن العلم مكنى به عن لازمه وهو مقابلة كل فريق بما يستحقه بحسب ما علم من حاله والمجازاة أمر مستقبل، وإما لأن المراد علم بمستقبل وهو اختلاف أحوالهم يوم يجيء النصر، ففعل من كانوا منافقين وقت نزول الآية يكونون مؤمنين يوم النصر ويبقى قوم على نفاقهم^(١).

٢٩. قاعدة: (من مُؤكِّدَاتِ الفِعْلِ (لن) لتأكيد النفي)

ذكر الزركشي من مؤكِّدات الفعل ((لن) لتأكيد النفي كإن في تأكيد الإثبات فتقول: لا أبرح فإذا أردت تأكيد النفي قلت: لن أبرح قال سيبويه: هي جواب لمن قال: سيفعل يعني والسين للتأكيد فجوابها كذلك وقال الزمخشري: لن تدل على استغراق النفي في الزمن المستقبل بخلاف "لا" وكذا قال في المفصل: (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل وبني على ذلك مذهب الاعتزال في قوله تعالى: (لَن تَرَانِي) [الأعراف: ١٤٣] قال: هو دليل عن نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا الاستدلال حكاه إمام الحرمين في الشامل عن المعتزلة ورد عليهم بقوله تعالى لليهود: (فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا) [البقرة: ٩٤. ٩٥]، ثم أخبر عن عامة الكفرة أنهم يتمنون الآخرة فيقولون: (يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ) [الحاقة: ٢٧] يعني: الموت.

(١). التحرير والتنوير ٢٠: ٢١٨.

ومنه من قال: لا تنفي الأبد ولكن إلى وقت بخلاف قول المعتزلة وأن
النفي بلا أطول من النفي بلن لأن آخرها ألف وهو حرف يطول فيه النفس
فناسب طول المدة بخلاف "لن" ولذلك قال تعالى: (لَنْ تَرَانِي) وهو مخصص
بدار الدنيا.

وقال: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) [الأنعام: ١٠٣] وهو مستغرق لجميع أزمنة
الدنيا والآخرة وعلل بأن الألفاظ تشاكل المعاني ولذلك اختصت لا بزيادة مدة،
وهذا ألطف من رأي المعتزلة ولهذا أشار ابن الزمكاني في التبيان بقوله: "لا"
تنفي ما بعد و"لن" تنفي ما قرب وبحسب المذهبين أولوا الآيتين قوله تعالى:
(وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا) [البقرة: ٩٥]، (وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا) [الجمعة: ٧].

ووجه القول الثاني أن: (وَلَا يَتَمَنَّوْهُ) جاء بعد الشرط في قوله تعالى: (إِنْ
زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَُّوا الْمَوْتَ) [الجمعة: ٦] وحرف الشرط
يعم كل الأزمنة فقبول بلا ليعمم ما هو جواب له أي زعموا ذلك في وقت ما
قليل لهم تمنوا الموت وأما (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ) فجاء بعد قوله: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ
الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً) [البقرة: ٩٤] أي: إن كانت لكم الدار الآخرة فتمنوا
الموت الآن استعجالاً للسكون في دار الكرامة التي أعدها الله لأوليائه وأحباؤه
وعلى وفق هذا القول جاء قوله: (لن تراني).

قلت: والحق أن "لا" و"لن" لمجرد النفي عن الأفعال المستقبلية والتأييد
وعدمه يؤخذان من دليل خارج ومن احتج على التأييد بقوله: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ
تَفْعَلُوا) [البقرة: ٢٤] وبقوله: (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) [الحج: ٧٣] عورض بقوله:
(فَلَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) [مريم: ٢٦]، ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم
وبقوله: (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ)، ولو كانت لتأييد لكان ذكر الأبد تكريراً والأصل عدمه،
وبقوله: (لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) [طه: ٩١]، لا يقال:
هي مقيدة فلم تفد التأييد والكلام عند الإطلاق لأن الخصم يدعي أنها موضوعة

لذلك فلم تستعمل في غيره وقد استعملت "لا" للاستغراق الأبدي في قوله تعالى: (لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا) [فاطر: ٣٦]، وقوله: (لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) [البقرة: ٢٥٥]، (وَلَا يُوْذُوهُ حِفْظُهُمَا) [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) [الأعراف: ٤٠]، وغيره مما هو للتأيد وقد استعملت فيه (لا) دون (لن) فهذا يدل على أنها لمجرد النفي والتأيد يستفاد من دليل آخر^(١).

وعند قوله تعالى: (فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [البقرة: ٢٤] قال ابن عاشور: (ولذلك حسن موقع (لن) الدالة على نفي المستقبل فالنفي بها أكد من النفي بلا، ولهذا قال سيبويه: لا لنفي يفعل، ولن لنفي سيفعل، فقد قال الخليل: إن لن حرف مختزل من لا النافية وأن الاستقبالية، وهو رأي حسن، وإذا كانت لنفي المستقبل تدل على النفي المؤبد غالباً؛ لأنه لما لم يوقت بحد من حدود المستقبل دل على استغراق أزمنته إذ ليس بعضها أولى من بعض، ومن أجل ذلك قال الزمخشري بإفادتها التأيد حقيقة أو مجازاً وهو التأكيد، وقد استقرت مواقعها في القرآن وكلام العرب فوجدتها لا يؤتى بها إلا في مقام إرادة النفي المؤكد أو المؤبد. وكلام الخليل في أصل وضعها يؤيد ذلك، فمن قال من النحاة أنها لا تفيد تأكيداً ولا تأييداً فقد كابر)^(٢).

(١). البرهان في علوم القرآن ٢: ٤٢٠.

(٢). التحرير والتنوير ١: ٣٤٢.

٣٠. قاعدة: (لام الجحود تُفيد التوكيد)

هذه القاعدة مستفادة من السمين الحلبي، فعند قوله سبحانه: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ) [البقرة: ١٤٣] قال: (في هذا التركيب وما أشبهه بما ورد في القرآن وغيره نحو: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ) [آل عمران: ١٧٩] (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ) [آل عمران: ١٧٩] قولان أحدهما: قول البصريين، وهو أَنَّ خبرَ «كان» محذوفٌ، وهذه اللامُ تُسمَّى لامَ الجحود ينتصبُ الفعلُ بعدها بإضمار «أَنَّ» وجوباً، فينسبكُ منها ومن الفعلِ مصدرٌ مُنَجَّرٌ بهذه اللامِ، وتتعلّق هذه اللامُ بذلك الخبرِ المحذوفِ، والتقديرُ: وما كان الله مريداً لإضاعة أعمالكم، وشرطُ لام الجحود عندهم أن يتقدّمها كَوْنٌ منفيٌّ. واشترط بعضهم مع ذلك أن يكونَ كَوْناً ماضياً. ويُفَرَّقُ بينها وبينَ لام كي ما ذكرنا من اشتراطِ تقدّم كَوْنٍ منفيٍّ، ويدلُّ على مذهبِ البصريين التصريحُ بالخبرِ المحذوفِ في قوله:

سَمَوْتَ وَلَمْ تُكُنْ أَهْلًا لِتَسْمُو ...

والقولُ الثاني للكوفيين: وهو أَنَّ اللامَ وما بعدها في محلِّ الخبرِ، ولا يُقدِّرون شيئاً محذوفاً، ويزعمون أَنَّ النصبَ في الفعلِ بعدها بنفسِها لا بإضمارِ أَن، وأنَّ اللامَ للتأكيدِ، وقد ردَّ عليهم أبو البقاء فقال: «وهو بعيدٌ لأنَّ اللامَ لامُ الجرِّ و«بَعْدَهَا مُرَادَّةٌ، فيصيرُ التقديرُ على قولهم: وما كان الله إضاعةَ إيمانكم، وهذا الردُّ هنا لازمٌ لهم، فإنَّهم لم يقولوا بإضمارِ» أَنَّ «بعد اللام كما قدَّمْتُ نقله عنهم، بل يزعمون النصبَ بها وأنها زائدةٌ للتأكيدِ، ولكن للردِّ عليهم موضعٌ غيرُ هذا.

واعلم أَنَّ قولك: «ما كان زيدٌ ليقومَ» بلام الجحودِ أبلغُ من: «ما كان زيدٌ يقومُ»، أمّا على مذهبِ البصريين فواضحٌ، وذلك أَنَّ مع لام الجحود نفيَ الإرادةِ للقيامِ والتهئيةِ، ودوئها نفيٌ للقيامِ فقط، ونفيُ التهئيةِ والإرادةِ للفعلِ أبلغُ

من نفي الفعل، إذ لا يلزم من نفي الفعل نفي إرادته، وأمّا على مذهب الكوفيين فلائّ اللام عندهم للتوكيد والكلام مع التوكيد أبلغ منه بلا توكيد^(١).

٣١. قاعدة: (لام التوكيد وهي منصوبة تقع على الاسم الذي تقع عليه (إنّ) إذا كان بينها وبين (إنّ) حشو، وتقع أيضاً في خبر (إنّ) وتصرف (إنّ) إلى الابتداء)

هذه القاعدة مستفادة من الأخفش، فعند قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) [البقرة: ٧٤] قال: (فهذه اللام لام التوكيد وهي منصوبة تقع على الاسم الذي تقع عليه "إنّ" إذا كان بينها وبين (إنّ) حشو نحو هذا. وهو مثل: (إنّ في الدار لزيداً). وتقع أيضاً في خبر (إنّ) وتصرف (إنّ) الى الابتداء، تقول: (أشهد أنّه لطيف) قال الله عزّ وجل: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) [المنافقون: ١]، وقال (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ. وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ. إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ) [العاديات: ٩. ١١]، وهذا لو لم تكن فيه اللام كان (أَنَّ رَبَّهُمْ) لأن (أَنَّ) الثقيلة إذا كانت هي وما عملت فيه بمنزلة (ذاك) أو بمنزلة اسم فهي أبداً (أَنَّ) مفتوحة. وإن لم يحسن مكانها وما عملت فيه اسم فهي (إنّ) على الابتداء. ألا ترى إلى قوله: (اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلَيَّ فُضِّلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة: ٤٠] يقول: اذكروا هذا، وقال: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلْبَثُ) [الصفات: ١٤٣. ١٤٤] لأنه يحسن في مكانه (لولا ذاك) وكل ما حسن فيه (ذاك) أن تجعله مكان (أَنَّ) وما عملت

(١). الدر المصون ٢: ١٥٧.

فيه فهو (أَنَّ). وإذا قلت: (يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) لم يحسن أن تقول: (يَعْلَمُ لَذَلِكَ).
 فإن قلت: إطح اللام أيضاً وقل: يُعْلَمُ ذَاكَ، فاللام ليست مما عملت فيه (إِنَّ).
 وأما قوله: (إِلَّا إِيَّاهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) [الفرقان: ٢٠] فلم تنكسر هذه من
 أجل اللام، ولو لم تكن فيها لكانت (إِنَّ) أيضاً لَأَنَّهُ لا يحسن أن تقول: ما
 أرسلنا قَبْلَكَ إِلَّا ذَاكَ، و(ذَاكَ) هو القصة. قال الشاعر:

ما أعطاني ولا سألتُهما ... إلّا وإني لحاجزي كرمي

فلو أُلْقِيَتْ من هذه اللام ايضاً لكانت (أَنَّ). وقال: (ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ
 لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) [الأنفال: ١٤] كأنه قال: ذَاكَ الأمر، وهذا قوله: (وَأَنَّ
 لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) تقع في مكانه (هذا). وقال: (ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ
 الْكَافِرِينَ) [الأنفال: ١٨] كأنه على جواب من قال: (ما الأمر؟) أو نحو ذلك
 فيقول للذين يسألون: ذلك، كأنه قال: ذَلِكُمْ الأمرُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ
 الْكَافِرِينَ، فحسن أن يقول: (ذلك) و(هذا). وتضمن الخبر أو تجعله خبر
 مضمّر.

وقال (إِنَّ لَكَ إِلَّا جُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعَرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى)
 [طه: ١١٨. ١١٩] لأنه يجوز أن تقول: (إِنَّ لَكَ ذَاكَ) و(هذا) وهذه الثلاثة
 الأحرفُ يجوز فيها كسر (إِنَّ) على الابتداء. (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ) ... (أَنَّ اللَّهَ
 يُبَشِّرُكَ) [آل عمران: ٣٩] فيجوز أن تقول: فنادته الملائكة بِذَاكَ، وإن شئت
 رفعتَه على الحكاية كأنه يقول: فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ، لَأَنَّ كُلَّ
 شيءٍ بعد القولِ حكاية، تقول: قُلْتُ: عبدُ اللَّهِ مُنْطَلِقٌ، وقلت: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ زَيْدٌ
 مُنْطَلِقٌ، إِلَّا فِي لُغَةٍ مِنْ أَعْمَلِ الْقَوْلِ مِنَ الْعَرَبِ كَعَمَلِ الظَّنِّ، فذَاكَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ
 يَفْتَحَ "أَنَّ".

وقال: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) [الأنبياء: ٩٢] فيزعمون أَنَّ هذا ولأَنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ، يقول: فَاتَّقُونِ لِأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ، وهذا يحسن فيه كذاك.

فإن قلت: كيف تلحق اللام ولم تكن في الكلام؟ فإن طرح اللام وأشباهها من حروف الجر من (أَنَّ) حسن ألا تراه يقول: أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ، وإِنَّمَا هو أَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ.

وقال: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) [الجن: ١٨] يقول: فلا تدعو مع الله أحدا لِأَنَّ المساجد لله، وفي هذا الإعراب ضعف، لأنه عمل فيه ما بعده، أضافه إليه بحرف الجر. ولو قلت: أَنَّكَ صَالِحٌ بَلَعْنِي، لم يجوز، وإن جاز في ذلك؛ لِأَنَّ حرف الجر لما تقدم ضميره قوي. وقد قرئ مكسوراً. قال بعضهم: "إِنَّمَا هَذَا عَلَى (أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) [الجن: ١] وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ" وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ". وقد قرئ (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) [الجن: ٣] ففتح كل (أَنَّ) يجوز فيه على الوحي.

وقال بعضهم: وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا، فكسروها من قول الجن، فلما صار بعد القول صار حكاية، وكذاك ما بعده مما هو من كلام الجن) ^(١).

(١). معاني القرآن للأخفش ١: ١١٦.

٣٢. قاعدة: ((كلُّ) يدلُّ على إرادة العموم ففائدة التوكيد بـ (كل)) وأخواتها رَفْعُ تَوَهُّمٍ وَضَعِ الْأَخْصِ مَوْضِعَ الْأَعْمِ

هذه القاعدة مستفادة من السمين الحلبي، فعند قوله سبحانه: (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى) [طه: ٥٦] قال: (هي من «رأى» البصرية فَلَمَّا دخلت همزة النقل تَعَدَّتْ بها إلى اثنين أولهما الهاء، والثاني «آياتنا»، والمعنى: أَبْصَرْنَاهُ. والإضافة هنا قائمة مقام التعريف العهدي أي: الآيات المعروفة كالعصا واليد ونحوهما، وإلا فلم يُرِ الله تعالى فرعونَ جميعَ آياته.

وجَوَّزَ الزمخشري أن يُرَادَ بها الآيات على العموم بمعنى: أن موسى عليه السلام أراه الآيات التي بُعث بها وَعَدَّدَ عليه الآيات التي جاءت بها الرسل قبله عليهم السلام، وهو نبيٌّ صادقٌ، لا فرق بين ما يُخْبِرُ عنه وبين ما يُشَاهَدُ به. قال الشيخ: وفيه بُعْدٌ؛ لأنَّ الإخبارَ بالشيء لا يُسَمَّى رؤيةً له إِلَّا بمجازٍ بعيد.

وقيل: بل الرؤية هنا رؤيةٌ قلبيةٌ، فالمعنى: أَعْلَمْنَاهُ «وَأَيَّدَ ذلك: بأنه لم يكن أراه إِلَّا اليدَ والعصا فقط. وَمَنْ جَوَّزَ استعمالَ اللفظِ في حقيقته ومجازه أو إعمالَ المشتركِ في معنَييه يجيئُ يُرَادَ المعنيان جميعاً.

وتأكيده للآيات بـ كلِّها يدلُّ على إرادة العموم؛ لأنَّهم قالوا: فائدة التوكيد بـ كل وأخواتها رَفْعُ تَوَهُّمٍ وَضَعِ الْأَخْصِ مَوْضِعَ الْأَعْمِ، فلا يُدَّعَى أنه أراد بالآيات آياتٍ مخصوصةً، وهذا يتمشى على أن الرؤية قلبيةٌ، ويُراد بالآيات ما يَدُلُّ على وحدانية الله وصدق المبلِّغ. ولم يذكر مفعول التكذيب والإباء تعظيماً له، وهو معلومٌ^(١).

(١). الدر المصون ٨: ٥٣.

قال الراغب الأصفهاني: (وكل له حالتان: أحدهما: أن يكون تابِعاً على طريق التأكيد، فلا يحذف منه ضمير ما أُكِّد به، نحو: مررت بالقوم كلهم. والثاني: أن تجعله مُخْبِراً عنه، فيصح الحذف منه إيجازاً، نحو: (إِنَّا كُلُّ فِيهَا)، وفي قوله: (كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) على هذا) ^(١).

٣٣. قاعدة: (كافة) اسمٌ يُفِيدُ الإحاطةَ بِأجزاءِ مَا وُصِفَ به، ويُفِيدُ مفادَ ألفاظِ التَّوكِيدِ الدَّالَّةِ عَلَى الشُّمُولِ وَالْإِحَاطَةِ

هذه القاعدة مستفادة من ابن عاشور فعند قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [البقرة: ٢٠٨] قال: (و(كافة) اسم يفيد الإحاطة بأجزاء ما وصف به، وهو في صورة صوغه كصوغ اسم الفاعلة من كف ولكن ذلك مصادفة في صيغة الوضع، وليس فيها معنى الكف ولا حاجة إلى تكلف بيان المناسبة بين صورة لفظها وبني معناها المقصود في الكلام لقلة جدوى ذلك، وتفيد مفاد ألفاظ التوكيد الدالة على الشمول والإحاطة.

والثناء المقترنة بها ملازمة لها في جميع الأحوال كيفما كان المؤكد بها مؤنثاً كان أو مذكراً مفرداً أو جمعاً، نحو (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) [التوبة: ٣٦]، وأكثر ما يستعمل (كافة) في الكلام أنه حال من اسم قبله كما هنا فقوله: «كافة» حال من ضمير ادخلوا أي حالة كونكم جميعاً لا يستثنى منكم أحد، وقال ابن هشام في «مغني اللبيب» عند الكلام على الجهة الخامسة من الباب الخامس في ذكر الحال من الفاعل ومن المفعول أن (كافة) إذا استعملت في معنى الجملة

(١). تفسير الراغب الأصفهاني ٢: ٤٢٩.

والإحاطة لا تكون إلا حالا مما جرت عليه، ولا تكون إلا نكرة ولا شدة التلبس أي بترك ما لم يجيء به الدين، لأنهم استمروا على تحريم السبت وترك شرب ألبان الإبل وبعض ما اعتادوه من أحوالهم أيام تهودهم إذا صح ما رواه أهل «أسباب النزول» أن طائفة من مؤمني اليهود فعلوا ذلك.

ويجوز أن يكون المراد من السلم هنا المعنى الحقيقي، ويراد السلم بين المسلمين يأمرهم الله تعالى بعد أن اتصفوا بالإيمان بألا يكون بعضهم حربا لبعض كما كانوا عليه في الجاهلية، وبتناسي ما كان بين قبائلهم من العداوات^(١).

المبحث الثالث: قواعد في تأكيد الجملة

٣٤. قاعدة: (الجملة الاسمية أكد من الفعلية)

هذه القاعدة مستفادة من الزمخشري، فعند قوله سبحانه: (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا) [لقمان: ٣٣] قال: (فإن قلت: قوله: (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه. قلت: الأمر كذلك؛ لأنَّ الجملة الاسمية أكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله: (هُوَ) وقوله: (مَوْلُودٌ) والسبب في مجيئه على هذا السنن: أنَّ الخطاب للمؤمنين وعليتهم: قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم: أن ينفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يشفعوا لهم، وأن يغنوا عنهم من الله شيئا، فلذلك جيء به على الطريق الآكد.

(١). التحرير والتنوير ٢: ٢٧٨.

ومعنى التوكيد في لفظ المولود: أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه، لم تقبل شفاعته، فضلاً أن يشفع لمن فوقه من أجداده؛ لأنَّ الولد يقع على الولد وولد الولد، بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك^(١).

٣٥. قاعدة: (إذا كانت الجملة جارية مجرى التوكيد لا يُؤتى بحرف العطف)

هذه القاعدة مستفادة من عدد من العلماء منهم الزمخشري والسمين الحلبي وابن عاشور، فعند قوله سبحانه: (فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) [المدثر: ٢٤. ٢٥] قال الزمخشري: (فإن قلت: فلم قيل فقال إن هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم؟ قلت: لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث.

فإن قلت: فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت: لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد^(٢).

وعند قوله تعالى: (كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ) [النبأ: ٤. ٥] قال السمين الحلبي: (التكرار للتوكيد. وقد زعم الشيخ جمال الدين ابن مالك أنه من باب التوكيد اللفظي. ولا يضُرُّ توسط حرف العطف. والنحويون يأبون هذا. ولا يُسمُّونه إِلَّا عَطْفًا. وإن أفادَ التأكيد^(٣).

(١). الكشف ٣: ٥٠٤.

(٢). الكشف ٤: ٦٤٧.

(٣). الدر المصون ١٠: ٦٤٩.

وعند قوله سبحانه: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ النَّارِ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يِعْقِلُونَ) [البقرة: ١٧١] قال ابن عاشور: (والدعاء والنداء قيل بمعنى واحد، فهو تأكيد ولا يصح، وقيل الدعاء للقريب والنداء للبعيد، وقيل الدعاء ما يسمع والنداء قد يسمع وقد لا يسمع ولا يصح. والظاهر أن المراد بهما نوعان من الأصوات التي تفهمها الغنم، فالدعاء ما يخاطب به الغنم من الأصوات الدالة على الزجر وهي أسماء الأصوات، والنداء رفع الصوت عليها لتجتمع إلى رعاتها.

ولا يجوز أن يكونا بمعنى واحد مع وجود العطف؛ لأن التوكيد اللفظي لا يعطف، فإن حقيقة النداء رفع الصوت لإسماع الكلام، أو المراد به هنا نداء الرعاء بعضهم بعضاً للتعاون على ذود الغنم) ^(١).

وعند قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) [الشعراء: ١٣٢-١٣٣] قال: (وقد جاء في ذكر النعمة بالإجمال الذي يهيج السامعين لتلقي ما يرد بعده فقال: (الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ) ثم فصل بقوله: (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) وأعيد فعل أمدكم في جملة التفصيل لزيادة الاهتمام بذلك الإمداد فهو للتوكيد اللفظي.

وهذه الجملة بمنزلة بدل البعض من جملة أمدكم بما تعلمون فإن فعل أمدكم الثاني وإن كان مساوياً ل أمدكم الأول فإنما صار بدلاً منه باعتبار ما تعلق به من قوله: بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) إلخ الذي هو بعض مما تعلمون.

وكلا الاعتبارين التوكيد والبدل يقتضي الفصل، فلاجله لم تعطف الجملة ^(٢).

(١). التحرير والتنوير ٢: ١١٣.

(٢). التحرير والتنوير ١٩: ١٧٠.

وعند قوله سبحانه: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [العنكبوت: ٤] قال: (وجملة (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) ذم لحسابهم ذلك وإبطال له، فهي مقررة لمعنى الإنكار في جملة: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ)، فلها حكم التوكيد فلذلك فُصِّلَتْ) ^(١).

٣٦. قاعدة: (الجملة القسمية لا تُساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها)
٣٧. قاعدة: (إذا أقسم على جملة مصدرية بماضٍ مثبتٍ متصرفٍ وكان قريباً من زمان الحال أثبت مع اللام بقدر الدالة على التقريب من زمن الحال ولم تأت بقدر بل باللام وحدها إن لم يرد التقريب)

هذه القاعدة مستفادة من ابن سيده، فعند قوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٥٩] قال: (لقد أرسلنا استئناف كلام دون واو وفي هود والمؤمنون ولقد بواو العطف، لأنه أول من صنعها عطف في السورتين انتهى واللام جواب قسم محذوف أكد تعالى هذا الإخبار بالقسم، قال الزمخشري: فإن قلت: ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إا مع قد وقل عنهم قوله: حلفت لها بالله حلقة فاجر

لناموا (قلت): إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى

(١). التحرير والتنوير ٢٠: ٢٠٧.

قد عند استماع المخاطب كلمة القسم انتهى، وبعض أصحابنا يقول إذا أقسم على جملة مصدرة بماضي مثبت متصرف وكان قريباً من زمان الحال أثبت مع اللام بقدر الدالة على التقريب من زمن الحال ولم تأت بقدر بل باللام وحدها إن لم يرد التقريب، قال ابن عباس: أرسلنا لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يقوموا عبدوا الله ما لكم من إله غيري إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) بعثنا وقال غيره حملناه رسالة يؤدّيها فعلى هذا تكون الرسالة متضمنة للبعث وهنا فقال بفاء العطف وكذا في المؤمنون في قصة عاد وصالح وشعيب هنا قال بغير فاء والأصل الفاء وحذفت في القصتين توسعاً. واكتفاءً بالربط المعنوي وفي قصة نوح في هود (إني لكم) على إضمار القول أي فقال إني وفي ندائه قومه تنبيه لهم لما يليه إليهم واستعطاف وتذكير بأنهم قومه فالمناسب أن لا يخالفوه ومعمول القول جملة الأمر بعبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة ودّاً وسواعاً ويعوق ونسراً وغيرها والجملة المنبهة على الوصف الداعي إلى عبادة الله وهو انفراده بالألوهية المرجو إحسانه المحذور انتقامه دون آلهتهم ولم تأت بحرف عطف لأنها بيان وتفسير لعلّة اختصاصه تعالى بأن يعبد، وقرأ ابن وثاب والأعمش وأبو جعفر والكسائي غيره بالجرّ على لفظ (إله) بدلاً أو نعتاً، وقرأ باقي السبعة غيره بالرفع عطفاً على موضع (من إله) لأنّ من زائدة بدلاً أو نعتاً، وقرأ عيسى بن عمر غيره بالنصب على الاستثناء والجرّ والرفع أفصح (ومن إله) مبتدأ و(لكم) في موضع الخبر، وقيل: الخبر محذوف أي في الوجود و(لكم) تبيين وتخصيص (١).

وعند قوله عز وجل: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا

(١). إعراب القرآن لابن سيده ٥ : ٥٧.

أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [سبأ: ٤] قال الزمخشري: (قولهم: (لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ) نفى للبعث وإنكار لحجيء الساعة. أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية، كقولهم متى هذا الوعدُ. أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل، ثم أمد التوكيد القسمي إمداداً بما أنبع المقسم به من الوصف بما وصف به، إلى قوله: (لِيَجْزِيَ)؛ لأنَّ عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته، لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المستشهد به أعلى كعباً وأبين فضلاً وأرفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وأكثر، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ) (١).

وعند قوله تعالى: (وَلَمَّا أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَمَّا تَبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: ١٤٥] قال ابن عاشور: (قوله: (مِنَ الْعِلْمِ) بيان لما جاءك أي من بعد الذي جاءك والذي هو العلم فجعل ما أنزل إليه هو العلم كله على وجه المبالغة.

وقد بولغ في هذا التحذير باشتمال مجموع الشرط والجزاء على عدة مؤكدات أوماً إليها صاحب «الكشاف» وفصلها صاحب «الكشف» إلى عشرة وهي: القسم المدلول عليه باللام، واللام الموطئة للقسم لأنها تزيد القسم تأكيداً، وحرف التوكيد في جملة الجزاء، ولام الابتداء في خبرها، واسمية الجملة، وجعل حرف الشرط الحرف الدال على الشك وهو (إن) المقتضي إن أقل جزء من اتباع أهوائهم كاف في الظلم، والإتيان بإذن الدالة على الجزائية فإنها أكدت

(١). الكشاف ٣: ٥٦٧.

ربط الجزاء بالشرط، والإجمال ثم التفصيل في قوله: ما جاءك من العلم فإنه يدل على الاهتمام والاهتمام بالوازع يؤول إلى تحقيق العقاب على الارتكاب لانقطاع العذر، وجعل ما نزل عليه هو نفس العلم^(١).

(١) . باختصار من: التحرير والتنوير ٢ : ٣٧ .

الخاتمة:

أهم نتائج البحث:

١. ذكرت معنى التوكيد في اللغة وأن الواو والكاف والدال: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى شِدِّ وَإِحْكَامٍ. وَأَوْكِدَ عَقْدَكَ، أَي شُدَّهُ. وَالْوَكَادُ: حَبْلٌ تُشَدُّ بِهِ الْبَقَرَةُ عِنْدَ الْحَلَبِ. وَيَقُولُونَ: وَكَدَ وَكَدَهُ، إِذَا أَمَّهُ وَعُيِّي بِهِ، والتوكيد: التثبيت.
٢. وبينت معنى التوكيد في الاصطلاح وأنه لفظ يتبع الاسم المؤكد لرفع اللبس وإزالة الاتساع.
- أو هو إتباع الاسم اسماً ويعرب بإعرابه، أو هُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ لِتَقْرِيرِ الْمَعْنَى الْحَاصِلِ قَبْلَهُ وَتَقْوِيَتِهِ.
٣. ثم انتقلتُ إلى ذكر القواعد التي تتعلق بالتوكيد عند المفسرين وقسمتُ هذه القواعد إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قواعد عامة في التوكيد

المبحث الثاني: قواعد في أدوات التوكيد

المبحث الثالث: قواعد في توكيد الجملة

وقد وصلت القواعد التي استخرجتها من كلام المفسرين إلى سبع وثلاثين قاعدة.

وظهر في ذلك الترابط بين علم اللغة العربية وعلم التفسير، فعلى قدر المعرفة باللغة تكون المعرفة بالتفسير لكلام الله سبحانه وتعالى، سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

أهم التوصيات:

١. دراسة موضوع التوكيد عند علماء اللغة عامةً، وعند أحد اللغويين.
 ٢. دراسة أسلوب التوكيد وأنواعه عند المفسرين عامةً، أو عند أحد المفسرين.
 ٣. دراسة الاختلافات بين العلماء التي يكون سببها علوم اللغة العربية.
- وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن وعلومه:

- . معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى.
- . مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة ١٣٨١ هـ.
- . تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- . معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتور هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- . جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠)، تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر، دار هجر، الطبعة الأولى.
- . معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- . إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م).
- . الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي

القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

. درج الدرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسّين، إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ.

. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

. إعراب القرآن المنسوب للزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (المتوفى: نحو ٥٤٣هـ)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتب اللبنانية، بيروت، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد

السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)،
شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣هـ)، الناشر: جائزة دبي
الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

. إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي
الطيحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)،
(مهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)، الطبعة الأولى، ١٤١هـ -
١٩٩٥م.

. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي
الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار
إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمداني (المتوفى:
٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة
المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد
بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

. تُحْفَةُ الْأَقْرَانِ فِي مَا قُرِئَ بِالتَّثْلِيثِ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ، أحمد بن يوسف بن
مالك الرعيني الغرناطي ثم البيري، أبو جعفر الأندلسي (المتوفى: ٧٧٩هـ)، كنوز
أشبيلية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٨٢هـ-٢٠٠٧م.

. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.

. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

. اللغة العربية وعلومها:

. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي
البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،
دار ومكتبة الهلال.

. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف
بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة،
بيروت.

. علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى:
٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى،
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

. رسالة الحدود، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني
المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.
. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى:
٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ -
٢٠٠٠ م.

. اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)،
تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت.

. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري
الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين،
بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو
الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام
النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

. الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

. نتائج الفكر في النَّحو للسهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م.

. الكافية في علم النحو، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (المتوفى: ٦٤٦ هـ)، المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م. - أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م.

. شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.

. شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ)، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.

. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦ هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٩٨ م.

. توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، تحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١ هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥ م.

. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥ هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

. الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩ هـ)، تحقيق: د فخر

الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢ م.

. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤ هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة.

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة	٣
٢	الفصل الأول: التوكيد في اللغة العربية	٧
٣	المبحث الأول: معنى التوكيد في اللغة:	٧
٤	المبحث الثاني: معنى التوكيد في الاصطلاح	٨
٥	الفصل الثاني: قواعد التوكيد عند المفسرين	١٣
٦	المبحث الأول: قواعد عامة في التوكيد	١٣
٧	١. قاعدة: (أصلُ التَّأْكِيدِ رَفْعُ تَوْهُمِ الْمَجَازِ)	١٣
٨	٢. قاعدة: (إِذَا دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَ التَّوْكِيدِ وَالتَّأْسِيسِ رَجَحْ حَمْلَهُ عَلَى التَّأْسِيسِ)	١٦
٩	٣. قاعدة: (الْمَصَادِرُ الْمُؤَكَّدَةُ بِمَنْزِلَةِ ذِكْرِ الْفِعْلِ ثَانِيًا)	٢٤
١٠	٤. قاعدة: (الْعَرَبُ لَا تَكَاذُ تُدْخِلُ نَوْنَ التَّوْكِيدِ فِي الْجَزَاءِ حَتَّى يَصِلُوهَا بِ(مَا))	٢٤
١١	٥. قاعدة: (قَدْ تَأْتِي الصِّفَةُ لِلتَّأْكِيدِ)	٢٧
١٢	٦. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ التَّشْبِيهُ مَعْنَى التَّأْكِيدِ)	٢٩
١٣	٧. قاعدة: (الاستثناء تأويله عند النحويين توكيد العدد وتحصيله وكماله)	٢٩
١٤	٨. قاعدة: (إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى الْجَارِحَةِ الَّتِي يَعْمَلُ بِهَا أْبْلَغُ فِي التَّوْكِيدِ)	٣١
١٥	٩. قاعدة: (الشَّهَادَةُ تَجْرِي مَجْرَى الْحَلْفِ فِيمَا يُرَادُ بِهِ مِنَ التَّوْكِيدِ)	٣٢

١٦	١٠. قاعدة: (أسلوب الإبدال له من الفائدة مثل ما للتوكيد المعنوي)	٣٢
١٧	١١. قاعدة: (قد تأتي المفاعلة على غير بابها لمجرد التأكيد)	٣٤
١٨	١٢. قاعدة: (الأخبار ثلاثة أقسام: ابتدائي وطلبي وإنكاري، فالأول: يُقال لمن لم يتردد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر مثل: زيد عارف، والثاني: لمن هو متردد في ذلك طالب له منكّر له بعض إنكار، فيقال له: إن زيدا عارف، والثالث: لمن يبالغ في إنكار فيقال له: إن زيدا لعارف)	٣٦
١٩	١٣. قاعدة: (الأكثر في (أجمع) وأخواته المستعملة في التأكيد إنما يؤتى بها بعد (كل)، وفي غير الأكثر قد تحيى بدون (كل))	٣٨
٢٠	١٤. قاعدة: (قد يكون التأكيد بطريق تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ويطلق عليه: (تأكيد المدح بما يشبه الذم))	٣٩
٢١	١٥. قاعدة: (أسلوب الجار والمجرور أبلغ لأنه يفيد المعنى بطريقة تشبه طريقة الاستدلال، فهو من قبيل الكناية التي هي إثبات الشيء بإثبات ملزومه، وهي أبلغ من التصريح)	٤٠
٢٢	المبحث الثاني: قواعد في أدوات التوكيد	٤٣
٢٣	١٦. قاعدة: ((إن) معناها التوكيد، وهي آلة من آلات القسم، وإنما نصبت ورفعت لأنها تشبهه	٤٣

	بِالْفِعْلِ، وَشَبَّهَهَا بِهِ أَتَمَّا لَا تَلِي الْأَفْعَالَ وَلَا تَعْمَلُ فِيهَا)	
٢٤	١٧. قاعدة: ((أَنَّ)) المفتوحة الهمزة المشددة النون إذا وقعت بعد ما فيه معنى القول دُونَ حُرُوفِهِ تَكُونُ مفيدةً لِلتَّفْسِيرِ مَعَ التَّأْكِيدِ كَمَا كَانَتْ تُفِيدُ معنى الْمَصْدَرِيَّةِ مَعَ التَّأْكِيدِ	٤٥
٢٥	١٨. قاعدة: (حرفُ التَّوْكِيدِ يُغْنِي غِنَاءً فَأِ التَّفْرِيعِ وَيُفِيدُ التَّعْلِيلَ وَالرَّبْطَ)	٤٦
٢٦	١٩. قاعدة: ((مِنْ)) في الأصل ابتدائيةٌ ثُمَّ عُمِلَتْ مُعَامَلَةً حَرْفِ التَّأْكِيدِ	٤٩
٢٧	٢٠. قاعدة: (قَدْ تَدْخُلُ (مِنْ) لِتَفِيدَ التَّوْكِيدَ)	٥٠
٢٨	٢١. قاعدة: (لَامُ الْجَرِّ لَا تَقَعُ فِي الْأَفْعَالِ، وَتَقَعُ لَامُ التَّوْكِيدِ فِي الْأَفْعَالِ)	٥١
٢٩	٢٢. قاعدة: ((مَا)) فِي التَّوْكِيدِ بِمَنْزِلَةِ حَقٍّ، إِلَّا أَنَّهُ لَا إِعْرَابَ لَهَا، وَالْخَافِضُ وَالنَّاصِبُ يَتَخَطَّاهَا إِلَى مَا بَعْدَهَا، وَمِثْلُهَا فِي التَّوْكِيدِ ((لَا))	٥٢
٣٠	٢٣. قاعدة: (إِذَا دَخَلَتِ اللَّامُ عَلَى (إِنْ) الْمُخَفَّفَةِ أَفَادَتِ التَّوْكِيدَ)	٥٤
٣١	٢٤. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ الْبَاءُ مَعْنَى التَّوْكِيدِ)	٥٧
٣٢	٢٥. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ اللَّامُ مَعْنَى التَّوْكِيدِ)	٥٨
٣٣	٢٦. قاعدة: (قَدْ تُفِيدُ (قَدْ) مَعْنَى التَّوْكِيدِ)	٥٩
٣٤	٢٧. قاعدة: (مِنْ مُؤَكِّدَاتِ الْفِعْلِ (السين) الَّتِي لِلتَّنْفِيسِ)	٦١

٦٢	٢٨. قاعدة: (مِنْ مُؤَكِّدَاتِ الْفِعْلِ الْتُونُ الشَّدِيدَةُ وَالْخَفِيفَةُ)	٣٥
٦٥	٢٩. قاعدة: (مِنْ مُؤَكِّدَاتِ الْفِعْلِ (لَنْ) لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ)	٣٦
٦٨	٣٠. قاعدة: (لَا مُ الْجُحُودِ تُفِيدُ التَّوَكِيدَ)	٣٧
٦٩	٣١. قاعدة: (لَا مُ التَّوَكِيدِ وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ تَقَعُ عَلَى الْاسْمِ الَّذِي تَقَعُ عَلَيْهِ (إِنَّ) إِذَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (إِنَّ) حَشْوً، وَتَقَعُ أَيْضاً فِي خَبَرِ (إِنَّ) وَتَصْرَفُ (إِنَّ) إِلَى الْابْتِدَاءِ)	٣٨
٧٢	٣٢. قاعدة: ((كُلُّ) يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ الْعُمُومِ فَفَائِدَةُ التَّوَكِيدِ بـ (كُل) وَأَخَوَاتُهَا رَفَعُ تَوَهُّمٍ وَضَعِ الْأَخْصِ مَوْضِعَ الْأَعْمِ)	٣٩
٧٣	٣٣. قاعدة: (كَافَّةً) اسْمٌ يُفِيدُ الْإِحَاطَةَ بِأَجْزَاءِ مَا وُصِفَ بِهِ، وَيُفِيدُ مَفَادَ أَلْفَاظِ التَّوَكِيدِ الدَّالَّةِ عَلَى الشُّمُولِ وَالْإِحَاطَةِ)	٤٠
٧٤	المبحث الثالث: قواعد في توكيد الجملة	٤١
٧٤	٣٤. قاعدة: (الْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ أَكْثَرُ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ)	٤٢
٧٥	٣٥. قاعدة: (إِذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ جَارِيَةً مَجْرَى التَّوَكِيدِ لَا يُؤْتَى بِحَرْفِ الْعَطْفِ)	٤٣
٧٧	٣٦. قاعدة: (الْجُمْلَةُ الْقَسَمِيَّةُ لَا تُسَاقُ إِلَّا تَأْكِيداً لِلْجُمْلَةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهَا الَّتِي هِيَ جَوَابُهَا)	٤٤
٧٧	٣٧. قاعدة: (إِذَا أَقْسَمَ عَلَى جُمْلَةٍ مُصَدَّرَةٍ بِمَاضٍ مُشَبَّهٍ مُتَصَرِّفٍ وَكَانَ قَرِيباً مِنْ زَمَانِ الْحَالِ أَثْبَتَ مَعَ	٤٥

	اللام بقَد الدالَّة على التَّقْرِيبِ مِنْ زَمَنِ الْحَالِ وَلَمْ تَأْتِ بَقَد بل باللام وحدها إنْ لم يرد التَّقْرِيبُ)	
٨١	خاتمة	٤٦
٨٣	المصادر والمراجع	٤٧
٩١	فهرس المحتويات	٤٨